

صلات شعوب الشرق الأدنى القديم بالهند حتى نهاية العصر الروماني

(*) د. فتحي عبد العزيز الحداد

محتوى البحث :

مقدمة

صلات بلاد النهرين بالهند

صلات الخليج العربي بالهند

الصلات العمانية بالهند

صلات ميسان بالهند

الصلات المصرية بالهند

دور تدمير والأنباط في التجارة مع الهند

صلات جنوب الجزيرة العربية بالهند

نتائج البحث

* مدرس بقسم التاريخ كلية البنات جامعة عين شمس

مقدمة:

ازدهرت منطقة الشرق الأدنى القديم فكانت عامرة بأهم الحضارات التي أنارت العالم منذ عصور موغلة في القدم، فما خلا ركن من أرجاء الشرق الأدنى من أثر لحضارة قامت فيه أو خضع لها، وقد توسعت الشرق الأدنى القديم دول قامت بدور الوسيط التجاري بين بقية أرجائه وبين حضارة الهند، فلبعت كل من شمالي عُمان ودلمون دوراً نشطاً في ذلك، حيث ربطت بين الهند وأرض الخليج وبلاد النهرين، وخرجت من موانئها ومحطاتها سلع وصفقات تجارية إلى بقية مناطق الشرق الأدنى وارتادتها جاليات من مختلف أرجائه. ولعبت مناطق عُمان الجنوبية وموانئها إلى جانب دول اليمن القديم، دوراً حيواً في الوساطة التجارية بين الهند، ومصر وموانئها على ساحل البحر الأحمر، وكذلك حضارات بلاد الشام والعراق.

وكان لبلاد العرب وضع اقتصادي كبير في العالم القديم لما تنتجه بعض مناطقها من أهم السلع في العالم القديم ألا وهي اللبان الذي فاقت أهميته الحدود، بالإضافة إلى السلع الأخرى، ودورها كوسيط تجاري بين الهند وبين دول العالم القديم. فاحتكرت استيراد السلع الهندية ثم أعلنت تصديرها إلى بقية دول الشرق الأدنى القديم وبلاد اليونان والرومان.

وقد تمثلت أهمية دراسة علاقة دول الشرق الأدنى القديم بالهند في عدة أمور من أهمها: أن هذه الصلات تعد مثلاً لأقدم علاقات دولية سلمية في العالم، وأقدم نشاط تجاري منظم، لذا سيتطرق البحث إلى معرفة ما ترتب على قيام هذه العلاقة في دول الشرق الأدنى من علاقات داخلية وخارجية، اتصفت بالمسلم والرضا، أو بالطمع والعدوان، وبحث ما ترتب على النشاط التجاري من نتائج اقتصادية وما أثمر عنه هذا النشاط على الصعيد الثقافي والتنموي في مختلف دول الشرق الأدنى القديم.

صلات بلاد النهرين بالهند

كان العراق القديم محطة رئيسية على طريق التجارة العالمية القديمة، كما تسبب ازدهاره الحضاري وبنائه السياسي والاقتصادي القوي، في استقطاب حركة التجارة وخطوطها الرئيسية لفترة تزيد على ألفي عام ما بين ٢٥٠٠ - ٥٠٠ ق.م (١) وكان الطريق البحري أى طريق الخليج الذى أسماه أهل الرافدين " البحر الأدنى" و " بحر الشمس المشرقة " بمثابة الرنة لبلاد الرافدين وهو نافذة مفتوحة باتجاه الهند وبقية مناطق الشرق الأقصى. ومن المعروف أنه وجدت تجارة واسعة بين مدن الرافدين والهند منذ القدم ويتكرر فى الكتابات المسمارية من السنوات الأخيرة للألف الثالث قبل الميلاد ذكر السفن التى كانت تبحر من أور الى دلمون (البحرين) وماجان (عمان) على الساحل الشرقى للخليج وأمكن أبعد منها ومن المؤكد أن الأحجار الكريمة التى كثر طلبها من مدن الرافدين كان معظمها يأتى من الهند والمناطق المجاورة لها. (٢)

وقد عرفت الطرق البحرية بين الهند وبين الخليج العربي منذ زمن طويل وكان التعامل مع هذه الطرق منذ العصر البابلي وكانت الملاحة فى الخليج العربي وحول سواحل بلاد العرب منذ زمن (جوديا) ملك لاجاش، وقد كان من السهل على الملاحين العرب الذين استطاعوا الملاحة على الساحل الغربى من الخليج على محاذة عمان أن يبحروا على الشاطئ الشرقى من الخليج، وأن يصلوا الى الهند. ومن الطبيعي أن يكون الملاحون الأوائل الذين قاموا بالرحلات الأولى للهند قد تقيدوا بالإبحار على محاذة الساحل من مدخل الخليج العربي الى مصب

^١ - الهاشمي، رضا جواد، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم ، من كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية بغداد ١٩٨٤م ص١٤.

^٢ - الحلو، عبد الله ، صراع الممالك فى التاريخ السورى القديم ،بيسان للنشر والتوزيع ،بيروت

نهر السند، لأنها كانت معروفة جيداً أيام الفرس وربما قبل ذلك بكثير. أما الطريق البحرية الحرة فكانت معروفة قديماً في عصر الإمبراطورية البابلية المتأخرة وقد توزع الاتصال بين شمال غربي الهند وجنوب غربي الهند وكان الدليل على معرفة نوعي الاتصال البحري من أسماء السلع التي تنتمي كل منها إلى منطقة دون الأخرى^(٣)

وتحدثت النصوص عن طرق تمويل الرحلات التجارية في منطقة الخليج العربي حيث توضح بعض النصوص أن تاجراً كان ينتمي للقصر كان يعتمد على ما يتسلمه من بضائع للمتاجرة بها من المعبد التابع للقصر للمتاجرة بها ومقابضتها بسلع وبضائع المناطق الأخرى. وهو بذلك يمكن وصفه بالتاجر الرسمي (الحكومي الذي يمثل الدولة) وذكرت نصوص أخرى التاجر الذي اعتمد على البضائع ورؤوس الأموال الخاصة التي تمنحه إياها الشخصيات العامة بفرض المتاجرة بها مقابل منتجات البلاد الأخرى وعلى الأخص معدن النحاس^(٤).

وحوت مسلة شلمنصر الثالث (٨٦٠ ق. م) سلعاً تمثلت في: أفزام وقرود وفيلة وجمال، وهي تدل على وجود التبادل التجاري مع بخارى والهند عبر طريق شقت إلى الهند عبر وسط آسيا^(٥)

وانتعثت بابل بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية عام (٦٠٦ ق. م) وعادت مرة أخرى سوقاً دولية. وكان يسميها الهنود (بابيرو) وتذكر بعض النصوص البابلية وجود البحارة الهنود في بابل^(٦) وخلق نبوخذ نصر سيطرة

^٣- أوليري دى لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى على الغول، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان ١٩٩٠م ص ٧٥.

^٤- آل ثاني، هيا على جاسم، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر ١٩٩٧م ص ٣٣.

^٥- أوليري، دى لاسي، المرجع السابق ١٩٩٠م ص ٨٣.

^٦- عرفت طرق برية تصل الهند ببلاد الشام منها: طريق تمتد من بحر قزوين إلى بلاد التركستان ثم جنوباً أو جنوباً شرقياً خلال ممرات هندكوش إلى حوض السند الأعلى، وطريق

اقتصادية متميزة وازدهرت تجارة الكثير من السلع مثل اللؤلؤ من الخليج، واللازورد والأحجار الكريمة من بلاد الصغد (أفغانستان) والتوابل من الهند وكان الاتصال بالهند يتم أيضاً عن طريق شمالي تسير فيه القوافل الى إكبتاتا عاصمة ميديا (همدان اليوم) ومنها الى هراة في أواسط آسيا شرقي إيران . كما سارت القوافل الى بكتيريا (أفغانستان) والهند، كما وجد طريق آخر يتجة من الهند عبر جنوبي فارس وأرض العيلاميين كانت تنقل السلع الهندية من خلاله الى بابل ومنها الأحجار الكريمة والتحف المصنوعة من العاج والأنسجة الناعمة والمطرزات والتوابل وخشب الصندل والأصبغة حيث كانت إعادة تصديرها الى بابل باتجاه كيليكيا وفريجيا في شمالي آسيا الصغرى، و ليديا على الساحل الغربي لآسيا الصغرى تجاه اليونان^(٧)

ويرجح أن موقع ملوخا التي ذكرتها النصوص الآشورية كثيراً - كمصدر لكثير من المواد التجارية الهامة خاصة للنحاس - هي إحدى المناطق التجارية على سواحل الهند الغربية^(٨) وهناك بعض الدلائل التي تؤيد هذا الرأي منها: أن نصاً يتحدث عن الذهب كأحدى السلع التي جنتها حملة سومو إيلو الى دلمون، وهناك نص آخر يذكر أن جوديا: أحضر تبر الذهب من جبال ملوخا

شرقية على محاذة سفوح جبال البرز فهند كوش وحوض السند، وطريق ثالثة تقطع صحراء داشي لوت أو (صحراء الملح) الكبرى في بلاد العجم الى غزنة (في أفغانستان اليوم) ثم ثانية الى الشمال الغربي. وكانت الطريق البرية عبر آسيا معروفة زمن الأخمينيين والسلوقيين ويفسر هذا كثرة المعلومات المعروفة عن الهند وعن تجارتها.

⁷ - - الحلو، عبد الله، صراع الممالك في التاريخ السورى القديم، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت

١٩٩٩ ص ١٥٩-١٦٠

⁸ - Leemans, W.F, Foreign Trade in Old Babylonian Time, Leiden 1960. P.

159-160 وانظر أيضاً: Boucharlat, Remy, Archaeology and Artifacts of the Arabian Peninsula, Civilizations Of The Ancient Near East, Vol.II, Charles Scribner, Sons USA, 1995, P.1341.

ووضعه في العربة^(٩)، وبطبيعة الحال لم تكن دلمون مشهورة بإنتاج الذهب، وإنما كان يرد إليها من مكان آخر. ويدعم نص جوبيا نفس الفكرة حيث أن الهند قد اشتهرت بإنتاج تبر الذهب وقد دارا ذلك وفرض على الهند كميات كبيرة منه كضرائب فيما بعد. علاوة على ذلك فمن المعروف حتى الآن أنه لا توجد منطقة في الخليج العربي كان لها شهرة في إنتاج الذهب في تلك الفترة.

ولم يكن موقع ملوखा مكاناً هاماً بالنسبة لحكام بلاد الرافدين وتجارها فقط بل كان هذا المكان يحظى بتكريم من المعبودات أيضاً ففي أسطورة إنكي وتنظيم الكون^(١٠) يقوم إنكي بتنظيم الكون وقد بدأ بسومر ويكرم منها مدينة أور على وجه الخصوص ثم ينعم على بعض المناطق وأولها منطقة ملوखा بالخيرات وفي هذا دليل على أهمية مكانة ملوखा لدى بلاد الرافدين ودليل أيضاً على أن الصلات كانت فقط صلات ودية تجارية سلمية خالصة. كما ذكرت ملوखा أيضاً في نصوص إبلا كأحد المناطق الحضارية الهامة المعاصرة لحضارة إبلا^(١١)

كما كان الخشب من السلع الهامة التي استوردها ملوك بلاد النهرين ومن النصوص التي تتحدث عن ذلك: نص يذكر أن السفن من ماجان وملوखा، ودلمون كانت تحضر الخشب المصنع إلى لاجاش، كما كان الخشب من بين الأشياء التي أحضرتها حملة سومو إيلو من دلمون وكانت بابل تعاني من نقص في الخشب وكان من الضروري أن يستعان بمنطقة أخرى كمصدر للخشب ويبدو

^٩- كورنول ، المرجع السابق ص ١٤٩.

^{١٠}- تعد هذه الأسطورة واحدة من أطول الأساطير السومرية المعروفة وأفضلها حفظاً يتألف نصها من ٤٦٦ سطراً حفظ منها ٣٧٥ سطراً، أنظر كريم صموئيل نوح، السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ص ٢٣٣ وما بعدها.

^{١١} - Pettianato, Giovanni, EBLA, Anew Look at History. Translated by C. Faith Richardson, The Johns Hopkins University Press. 1991, P. 153

أن الهند كانت مصدر الخشب الذي كان ينقل إلى بلاد النهرين عبر الخليج، ومما يدعم ذلك : العثور على خشب التيك (الصنوبر) الهندي في أطلال أور.^(١١) وكان النحاس من السلع الدائمة الاستيراد لبلاد النهرين عن طريق دلمون وكانت ملجان هي مصدره الأساسي، كما كانت الهند مصدراً آخر لهذا المعدن فقد ثبت أن النحاس كان يتم صهره في جنوب بلاد الهند وراجبوتانا وفي أجزاء أخرى من الهملايا ومن نص البريبلوس يفهم أن النحاس شكل أحد المواد التصديرية من الهند إلى ميناء عماتا في القرن الأول الميلادي كذلك ذكر بليوني أن النحاس كان أحد المواد المصدرة من كرماتيا إلى الخليج ومواتي البحر الأحمر حيث يتم توزيعه منها إلى مواتي مجاورة^(١٢)، وكان العاج من السلع الهامة التي جلبها أهل الرافدين من بلاد الهند^(١٣)

وتذكر النصوص العراقية الخاصة بالتجار أن بعضاً منهم ساهم في نقل البضائع المختلفة من أقمشة وزيوت وغيرها وقام باستيراد سلعة النحاس من دلمون بينما سعى البعض الآخر إلى الحصول على جلب للنحاس وبضائع أخرى مثل الخرز والعاج وأنواع من الأحجار من ملجان مباشرة لكونها مصدر النحاس الأول، وغيره من المواد التي جلبت إلى ملجان من ملوخا، أو المناطق المحيطة بها^(١٤)

وختاماً لعلاقة بلاد النهرين والهند فإنها كانت في مجملها علاقة سلمية هدفها الأول التجارة وأن هذه العلاقة تمت بوساطة عُمان في بعض الفترات وبوساطة دلمون في فترات أخرى، وتاجر بعض العراقيين في السلع الهندية في دلمون ،

¹¹ - كورونول ، بيتر دلمون ، تاريخ البحرين في العصور القديمة ، ترجمة محمد علي الخزاعي مطبعة برنتك ، البحرين ١٩٩٩ ص ١٥١

¹² - كورونول ، المرجع السابق، ص ١٤٨.

¹³ - Roaf.Michael.Cultural Atlas of Mesopotamia and The Ancient Near East, Equinox Oxford,Ltd,1990,p165.

¹⁴ - آل ثاني، هيا علي جاسم، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر ١٩٩٧م ص ٢٣٢.

وتاجر بعضهم الآخر في عُمان. وتمثلت السلع الهندية الواردة إلى بلاد النهرين في الأحجار الكريمة، والنحاس والعاج والأقلام والقرود والفيلة واللازورد والأنسجة الناعمة، والمطرزة، والتوابل والأخشاب والأصباغ والذهب. ودعت للنظم الاقتصادية إلى إيجاد نظم لتمويل الرحلات التجارية فمولت بعض الرحلات عن طريق المعابد بينما تم تمويل بعضها الآخر من الأفراد أصحاب رؤوس الأموال.

صلات الخليج العربي بالهند

أظهرت النصوص والآثار، علاوة على كتابات المؤرخين الكلاسيكيين، الكثير من الدلائل على الدور الحيوى لموانئ الخليج العربى في العصور القديمة في الاتصال التجاري بين الهند وبين دول الشرق الأدنى القديم في مختلف العصور وكان من أهم هذه الموانئ: ميناء دلمون، وميناء الجرهاء، وميناء عماتا، وميناء الدور، ويدل على الاتصال بالهند عبر الخليج العربى لكثشاف العديد من فخاريات شبه القارة الهندية، علاوة على بعض الصلات الهندية^(١٥) (صورة ٢، ٤، ٥) علاوة على أكثر من أربعمائة آنية منها ثمانية تذكر بالأسلوب الهندي^(١٦)، وتظهر التأثيرات الهندية في كثير من الأواني الفخارية، والزجاج الأحمر التي عثر عليها بأعداد كبيرة في هيلي^(١٧) (صورة ٤، ٥) وقد أكد مؤلف كتاب الطواف حول البحر الإريتري الصلة التجارية بين منطقة الخليج

^{١٥} -- بن صراي، حمد محمد، موقع ميناء عماتا ودوره الحضاري و الاقتصادي في منطقة الخليج العربي أدومقو العدد الثاني ربيع الثاني ١٤٢١ هـ - يوليو ٢٠٠٠ ص ٤٦ Haerinck, 1998 a. 293 - 296 1998, 35

^{١٦} - Boucharlat, Remy, Archaeology and Artifacts of the Arabian Peninsula, : - Civilizations Of The Ancient Near East, Vol.II, Charles Scribner, s Sons USA, 1995, P.1340.

^{١٧} - Mery, Sophie, A Funerary Assemblage From The Umm - an-Nar Period; The ceramics from Tomb A at Hili North, UAE, Seminar for Arabian Studies, VOL.27, 1997, P.185, fig11, 12.

العربي والهند. ونكر بيلينيوس ثلاث مدن وموانئ أخرى ذات نشاط تجاري بحري، هي جرهاء وأكيله Acila (قرب رأس الخيمة الحالية) وهمنه Homna وأطاته Attana كموانئ على الجانب الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وينكر منها أكيلة، في صدد العلاقات التجارية مع الهند^(١٨)

صلات البحرين (دلمون) بالهند

لعبت دلمون دوراً هاماً في الوساطة التجارية بين الهند وبلاد الرافدين من خلال السلع العديدة التي ذكرتها النصوص حيث تحدثت العديد من النصوص التي عثر عليها في مدينة (أور وماري) عن العلاقات الاقتصادية بين دلمون وجيرانه ، وكانت نصوص أور أكثر النصوص التي تناولت التجارة بينها وبين دلمون ، فذكرت عدة نصوص من معبد الإلهة ننجال عدداً من المواد الثمينة التي دفعت للمعبد كضريبة عن الرحلات التجارية التي قام بها أفراد من العامة إلى دلمون سواء كانوا من أبناء أور أو كانوا من أبناء دلمون كان من تلك المواد الذهب الفضة النحاس والأحجار الكريمة، اللؤلؤ، والعاج والأخشاب وهي المواد التي تحتاجها مدن جنوب بلاد الرافدين^(١٩) ومنها مواد كثيرة وصلت إلى دلمون من الهند لتقوم دلمون بدور الوسيط التجاري لتسوق ما ورد إليها من الهند إلى بلاد النهرين.

ويرجع تاريخ العلاقات بين البحرين والهند إلى فترات سحيقة في القدم ويؤكد بعض علماء الآثار على أن تلك العلاقات تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد (١) بليل ما عثروا عليه من آثار للفخار المزخرف والأصداف فسي كل من

^{١٨} - يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في المصور القديمة، دار النهضة العربية، ط٢ ، ١٩٧٩م

ص ٣٢٨

^{١٩} - آل ثاني، هيا على جاسم، المرجع السابق، ص ٢٣٠-٢٣١ ..

حضارة (هارابا) في الهند وحضارة دلمون المعاصرة لها والتي كانت لها علاقة تاريخية معها إذا أوردت الوثائق السومرية والأكدية أن سفن دلمون ومجان كانت ترسو ببلاذ أكد في وادي الرافدين وهي محملة بالسلع التجارية كالنحاس المنقول من مجان (عمان) والأحجار الكريمة والعاج والخشب والعطور والأقمشة ونحوها المنقولة من الهند في حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد

وأشار (جفري بيبى) الذي نقب في البحرين عام ١٩٥٣ م إلى أن الأختام التي عثر عليها في البحرين كانت من الطراز الهندي القديم. ومثله ذكر (راو) حينما عثر على ختم خليجي بالقرب من (لوتال) القريبة من أحمد آباد في ولاية كجرات وهو موضع في وادي السند (الأندس) على ضفة نهر سابرماتي عند الساحل الغربي للهند. ويصفه (راو) بأنه دائري الشكل ويشبه الأختام التي عثر عليها في حفريات باربار قرب قلعة البحرين . ثم اكتشف ختم بحريني في (لوتال) وعليه نقوش لأفعى وبجانبه جزلان مما يؤكد حتمية العلاقات بين الهند ودلمون وذلك في الربع الأخير من الألف الثالث قبل الميلاد. وعثر على مسنة أختام من وادي الأندس في كل من البحرين وعمان مما يجعلنا نستنتج على أن بعض الهنود كانوا يصلون في التجارة بأرض دلمون وعمان وجنوب وادي الرافدين فاستخدموا هذه الأختام لختم بضائعهم. ومثلها عثر في (باربار) بالبحرين على أختام يتضح فيها وجه الشبه الفني مع أختام حضارة (هارابا) بالهند وقد أרךها علماء الآثار بالعصر الأكدي أي في حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد^(٢٠) مما يؤكد قدم العلاقات الحضارية بين البحرين والهند.

٢٠ - ليا حسين، علي، العلاقات التاريخية بين البحرين والهند: البحرين ١٩٩٦م ص ٨

، وانظر: راو، العلاقات التجارية والثقافية بين البحرين والهند في الألفين الثالث والثاني ص ٣٠١

، وانظر: معاوية إبراهيم، تنقيبات البعثة العربية في سار، ص ٢٢٣

وتذكر الكتابات المسمارية أن الملك سرجون الأكدي قد وصل بفتوحاته إلى بلاد دلمون. وكان يصاحب تلك الفتوحات نشاط اقتصادي إذ أقام الحكام الأكديون علاقات تجارية مع سكان الخليج العربي ومع وادي السند وأصبحت (دلمون) محطة متوسطة بين مناجم نحاس عمان (مجان) والذهب والأحجار الكريمة والتوابل والأخشاب المنقولة من ديار السند . إذ كانت تتزود السفن بالماء والغذاء في دلمون وهي قادمة من (لوتال) إلى بلاد الرافدين أو ذاهبة إليها وهذا ما أوضحته الأختام الهندية التي عثر عليها في المدن السومرية والأكدية. كما بنى (أور نانشه) ملك لجش معبدا نقلت أخشابه في مراكب (دلمون) التي أطلقت عليها الوثائق الأكدية (بلاد شجرة النخيل) وسطرت الأساطير البابلية أنها الوسيط لنقل سلع الهند ونحاس عمان إلى وادي الرافدين. وهكذا أصبحت دلمون مركزا للترانزيت بين الهند وأور في جنوب وادي الرافدين حتى أواخر القرن الثاني ق.م بدليل ورود اسم تاجر يدعى (أبا ناصر نصير) كانت له معاملات تجارية في (دلمون) فيستورد النحاس من (مجان) ثم يعيد تصديره إلى (أور) وفق ما دلت عليه الأختام التي عثر عليها في البحرين وهي من النموذج الهندي والأواني الفخارية التي يرجح أنها مستوردة من الهند (٢١) وهكذا استمرت الطرق التجارية الآتية من الهند والشرق الأقصى تمر عبر البحرين (دلمون) إلى بلاد وادي الرافدين وبالعكس. وكان سبب ازدهار التجارة في الألف الثالث والثاني ق.م لما تتمتع به البحرين من (موقع جغرافي) و وفرة المحاصيل الزراعية (و) المياه العذبة (والتي لا تستغني عنها السفن التجارية التي تحتاج لتزويدها بالماء والزاد والوقود . وكان للتجارة دور هام في تبادل الثقافات بين الهند ووادي الرافدين عبر البحرين كأساليب رصف الطرق ونظام المقاييس والأوزان كما وجد الآثاريون في (باربار) أماكن لتقديم القرابين للآلهة ومثلها تلك التي وجدت في (لوتال) و (هارابا) بالهند ومما يذكر أن معبد الآلهة (آنذاك) في دلمون شيده جماعة من الهنود الذين قدموا

21 - حرب، محمد، الخليج العربي ووادي الهندوس في الأدبيات والحوليات المسمارية ص ٢-٥

من (سوراسترا) والذين استقروا لعدة أجيال في دلمون. ونتيجة أخرى للاتصال بين الهند ومنطقة الخليج العربي فقد حدث تجانس في طرق الصيد والأنوات التي يستخدمها صيادوا السمك والسفن والأجهزة المزودة بها تلك السفن تكاد تتشابه لدى الملاحين في كلا المنطقتين هذا بالإضافة إلى تبادل السلع بين البحرين والهند منذ الألف الثالث والثاني ق.م كالنحاس والعاج والأحجار الكريمة والأخشاب والخزr (٢٢) والأواني الفخارية الهندية (٢٣).

والمتبع للعلاقات التجارية بين الهند ودلمون يجد أنها لم تكن بالنشاط الذي شهدته في عهد الملك البابلي (حمورابي) في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وذلك نتيجة لقلة الاتصال التجاري بين بابل والهند أيام (الكاشيين) حيث دلت على ذلك نصوص العمارة في القرن الرابع قبل الميلاد إلا أن التبادل التجاري بين وادي الرافدين والهند عاد للنشاط من جديد أيام (الآشوريين) في الألف الأول قبل الميلاد عبر (دلمون) (٢٤).

صلات الجرha بالهند

ظهرت الجرha بنهاية القرن الثالث ق.م. كمدينة مستقلة في شمال شرق شبه الجزيرة العربية، وأصبحت أهم أماكن توزيع السلع والبضائع العربية والهندية والتي كانت تصدر إلى الأراضي السلوقية والبطلمية (٢٥). كان الخليج العربي في القرن الثامن قبل الميلاد ميداناً لعبت القراصنة وظل كذلك حتى جاء سنخريب ووضع حداً لاعتداءاتهم حوالي عام ٦٩٤ قبل الميلاد ولجبرهم على الاستقرار في الجرha (٢٦).

22- الأحمد، سامي، تاريخ الخليج العربي، ص ٢٣-٢٦

23- آل ثاني، هيا، المرجع السابق، ص ٢٦١.

24- محمد حرب، للمرجع السابق، ص ١٠، سامي الأحمد، المرجع السابق، ص ٢٦، ٢٣.

25- بن صراي محمد، المرجع السابق، ص ١٩٩.

26- أوليري، دي لامي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى على الفول، منشورات وزارة

الثقافة الأردنية، عمان ١٩٩٠م ص ٨٤

و يصف سترابون موقع الجرهاء فيقول: "وبعد الإبحار بمحاذاة ساحل العربية لمسافة ألفين وأربعمائة ستاد يوم يصل المرء إلى الجرهاء وهي مدينة تقع على خليج عميق " ثم يذكر " وتقع المدينة على بعد مائتي ستاد يوم من البحر (الخليج) " أما بليني فيتحدث عن خليج الجرهاء ومدينة الجرهاء التي يبلغ محيطها خمسة أميال ثم يذكر منطقة إلى الداخل في شبه الجزيرة قبالة الجرهاء تسمى " أتيني " تبعد خمسين ميلاً عن الساحل، وعلى الجانب الآخر فإن جزيرة تيروس (البحرين) تبعد عن الساحل (ساحل الجرهاء) بنفس المسافة (٢٧) هذا وقد كان للطريق التجاري من اليمن إلى الشمال فرع اتجه إلى الجرهاء وهجر بمنطقة الخليج العربي مروراً بقرية الفاو (قرية ذات كهل) ومنها تتجه نحو اليمامة ثم جرها والهجر ثم تتجه إلى بلاد الرافدين في الشمال (٢٨) ويبدو أن الجرهاء قد اهتمت بتجارة السلع الهندية والفارسية لاسيما الطيوب والبخور إذ كانوا يجلبون هذه السلع من مواطنها الأصلية في تلك البلاد الشرقية ثم يتجهون بها شمالاً وغرباً لبيعها في أسواق سوريا وفلسطين (٢٩).

و في أواسط القرن الثالث ق.م. قام الجرهلتيون بنشاط تجاري كبير، وحقيقة إن أغلب هذا النشاط كان برياً في اتجاه القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة، ولكن جزءاً منه كان بحرياً يمر بمياه الخليج ثم يسير شمالاً في نهر الفرات حتى مدينة سليوقية Seleukeia التي أقامها السلوقيون على النهر . كذلك نجد حوليات العهد المبكر من حكم أسرة " هان " في الصين، في مجال الحديث عن علاقات هذه الأسرة الصينية الحاكمة مع منطقتي الشرق الأوسط والأقصى ، تشير إلى نشاط بحري في المنطقة في فترة ترجع إلى ما بعد ١٤٠ ق . م . فتذكر أن

٢٧- عبد الغني، محمد السيد ، المرجع السابق ص ٩٤.

٢٨- الجرو ، أسهمان سعيد الجرو ، التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، ١٩٩٦

ص ٦٨

٢٩- عبد الغني، محمد السيد، المرجع السابق ص ١١٢.

الرحلة البحرية بين " تياو شيه " (التي أمكن التعرف على أنها القسم الجنوبي المطل على الخليج من وادي الرافدين) " وأرض الشمس للغاربة " (ربما يقصد شمالي البحر الأحمر) تستغرق مائة يوم . والإشارة إلى هذه السفرة البحرية تشير إلى نشاط بحري من إحدى موانئ المنطقة دون شك ، وأرجح أن تكون هذه الميناء هي خاراكس Charax (ميسان الحالية) التي تقع على رأس الخليج في جنوبي وادي الرافدين وكان الأسكندر قد أسسها وجعل لها ميناء في المنطقة ، ثم نوت أهميتها بعض الشيء ، ولكن أنطيوخوس Antiochos الخامس الحكام السلوقيين (الذين خلفوا الأسكندر على حكم سورية و وادي الرافدين) اعتنى بها وأعاد إليها أهميتها ، ثم أعاد إنشاءها ملك (أو زعيم) لمنطقة عربية مجاورة هو سبوسينيس Spaosenes .

وتذكر الحوليات للصينية في أواخر القرن الأول الميلادي (٩٧م) أن أحد سفرائها من أواسط آسيا ، وكان - ينج Kan-ying الذي وصل إلى تياو - في طريقه إلى تاتسن Ta-tsin (سورية) استفسر عن هذه الرحلة فذكر لهل سكان تياو - تشيه (الشواطئ الجنوبية لوادي الرافدين) أن " البحر كبير وواسع ، وأنه إذا كانت الرياح مواتية فمن الممكن الوصول في ثلاثة أشهر ، أما إذا لم تكن مواتية فمن الممكن أن تستمر السفرة سنتين ، ولهذا فإن الذين يركبون البحر يأخذون معهم زادا يكفيهم لثلاث سنوات ، فإن في البحر شيء يحرك في الإنسان الحنين إلى بلده ، وقد فقد الكثيرون حياتهم بسبب ذلك " . والنص يشير ، كما هو واضح ، إلى معرفة بالبحر ومن ثم بالتجارة البحرية ، ولكن يبدو أن شينا من التخوف كان يحيط بالرحلات البحرية بين الخليج من جهة والبحر الأحمر من جهة أخرى ، ربما لأن تجارة الشاطئ العربي المطل على

الخليج كانت موجهة حتى تلك الوقت أساساً إلى الشرق أو على أكثر تقدير إلى الشواطئ الجنوبية لشبه الجزيرة، إذا اتجهت غرباً^(٣٠)

صلات عُمان (ماجان) بالهند

كان لوقوع شبه الجزيرة العمانية على الخليج العربي وخليج عمان أثر كبير في العلاقات التجارية بين الشرق والغرب. فقد اتصلت عُمان ببلاد النهرين اتصالاً مباشراً في بعض الفترات، وفي فترات أخرى لعبت دلمون دور الوسيط في التجارة القائمة بين ماجان وبين بلاد النهرين، فتذكر بعض النصوص المكتشفة في أور - أن تلجراً يدعى لوتليل من عهد الملك أبي - سن آخر ملوك عصر الإحياء السومري (عهد سلالة أور الثالثة) يجلب النحاس والخرز والعاج وأنواعاً من الأحجار من ماجان مباشرة^(٣١) وقد كان هذا الاتصال مستمراً سواء كان اتصالاً مباشراً أو كان عبر دلمون كوسيط، وقد ذكرت النصوص العراقية أن تاجراً يدعى إيا ناصر خلال عهد سلالة لارسا ساهم في نقل البضائع وتصديرها من الأقمشة والزيوت وغيرها وتسلم أموالاً من الفضة من التجار بغرض استيراد سلعة النحاس من دلمون. وقد سجل مؤلف كتاب الطواف حول البحر الإريتري أن (عمانا) كانت تصدر إلى المناطق المجاورة كميات كبيرة من اللؤلؤ ومما

³⁰ - يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، ط ٢ ١٩٧٩ ص

٣٢٥ - ٣٢٧

³¹ - آل ثنائي، هيا على جاسم، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر

١٩٩٧م - ٢٣٢

يوحى بوجود ممارسة هذه المهنة كميات الأصناف الكبيرة التي عثر عليها في موقع الدور (عمانا) (٣٢)

وقد أشار صاحب كتاب الطواف الى بعض النشاطات التجارية بين عمانا وجيرانها مثل: الهند وفارس وميسان وجنوب شبه الجزيرة العربية. وذكر كذلك أن السفن العمانية تأتي من الميناء الهندي، باربوجازا، محملة بالزئبق والنحاس والصنل وخشب التيك. كما أن عمانا كانت تستورد البخور واللبن من ميناء كاتي في جنوب شبه الجزيرة العربية، وتصدر إلى كل من باربوجازا وكاتي نوعا من القوارب محلية الصنع تدعى مادارقا، وكميات كبيرة من اللؤلؤ، والملابس والخمور والعبود. (٣٣)

ويوجد في شبه الجزيرة العمانية عدد من الطرق الداخلية التي تربط بين الموانئ الساحلية والمناطق والواحات الداخلية. ومن الملاحظ أن مواقع الآثار السابقة الذكر تقع على طرق القوافل القديمة، مما يوحي بأن هذه الطرق كانت تستخدم منذ أقدم الأزمنة، ومن هذه الطرق: الطريق الساحلي القاصم من رأس الخيمة أو ظفار بالقرب من موقعي شمل وغيليلة، إلى البريمي وهيلي عبر مليحة ومهل المدام، ومن البريمي عبر سفوح الجبال إلى عبري ومنها إلى ظفار وحضرموت و من الملاحظ أن مليحة تمر بها عدد من الطرق الرئيسية مما يساعد على سهولة اتصالها. أما الطرق الخارجية البرية التي تربط عمان بعمان بعمان وبلاد الرافدين عبر شبه

32- بن صراي، حمد محمد، موقع ميناء عمانا ونوره الحضاري والاقتصادي في منطقة الخليج

العربي، أدمتو، العدد الثاني، يوليو ٢٠٠٠ ص ٥٢.

33- بن صراي، حمد محمد، منطقة الخليج العربي من القرن الثالث ق م إلى القرن الأول والثاني

الميلاديين، المجمع الثقافي الإماراتي ٢٠٠٠م، ص ٢٨٩-٢٩٠.

للجزيرة العربية، كما أشار ولكنسون إلى طريق بري من حضرموت إلى عُمان بالقرب من الساحل، وهو الطريق ذاته تقريبا الذي ذكره ابن خرداذبة. والطريق البحري بين ميناء عمان وأبولوجوس وباريوجازا. وكان لشبه الجزيرة العُمانية موانئ تربطها بحريا بالخارج وعن طريقها يتم تصدير واستيراد السلع والبضائع، وارتبك كل من الدور على الخليج العربي والبدية على خليج عُمان وهذان الموقعان كانا يرتبطان بالداخل بطريق القوافل. وتدل العديد من اللقى الأثرية على التبادل التجاري والاتصالات بين شبه جزيرة عمان والمناطق المجاورة لها^(٣٤) وقد ذكر مؤلف كتاب الطواف أن موشكا كانت مرفأ لسفن الملك ويدل على الاتصال بالهند لاكتشاف العديد من فخاريات شبه القارة الهندية، في عُمان علاوة على أربع عملات هندية^(٣٥)

ومن الآثار العُمانية التي تحمل تأثيرات هندية مجموعة من الأختام، وقطع معدنية وقطع من العاج، و أواني فخارية وتتشابه مع مثيلاتها في الحضارة الهندية (الصورة ٣) تبين مقارنة زخارف فخار رأس الجينز مع مثيلاتها الهندية لتوضح مظاهر التأثير والتبادل بين الحضارتين العُمانية والهندية^(٣٦)

³⁴ - بن صراي محمد محمد، منطقة الخليج العربي من القرن الثالث ق م إلى القرن الأول والثاني الميلاديين، المجمع الثقافي الإماراتي ٢٠٠٠م، ص ٢٨٩-٢٩٠. تتزامن العديد من الشواهد الأثرية التي تربط وادي الأندوس بعُمان مع النصوص الأكديّة ومرحلة أسرة أور الثالثة من بلاد ما بين النهرين التي تنكر بناء قوارب ماجان وأسفارها، وقد ربطت القوارب البحرية عُمان بشبه الجزيرة الهندية والإمارات والبحرين وشرق الجزيرة العربية وبلاد الرافدين خلال مراحل عصر فجر السلالات (٢٥٠٠ ق.م). زارينس، يورس، أرض اللبان، مطبعة النهضة، ترجمة معاوية ابراهيم، مسقط ٢٠٠١م ص ٧٦-٧٧

³⁵ - بن صراي محمد محمد، موقع ميناء عمان ودوره الحضاري والاقتصادي في منطقة الخليج العربي انوماتو العدد الثاني ربيع الثاني ١٤٢١ هـ يوليو ٢٠٠٠م ص ٤٦

³⁶ - Vishwas, D. Gogte, Indo - Arabian maritime contacts during The Bronze Age Scientific Study of pottery from Ras al - Junayz (Oman) , Adumatu Issue no . 2 July 2000 p . 7 (صورة)

وكان العاج والأختام النحاسية أيضاً من الآثار المكتشفة في رأس الجينز وجميعها تشهد على قيام عُمان بصلات مع الهند وأيضاً قيامها بدور الوساطة بين الهند وبلاد النهرين^(٣٧)

وما عثر عليه من آثار في موقع الدور (عماتا) يؤكد وجود تبادل تجارى بين هذا الموقع وبين حضرموت عن طريق مينائها الشهير (قنا) ومن هذه الآثار عملتان برونزيتان من حضرموت وقد كتب عليهما اسم القصر الملكي (شقيير) بشبوة كما عثر على خاتم تدل زخرفته على أنه من حضرموت، علاوة على عدد من الأواني الفخارية المستوردة من جنوب شبه الجزيرة العربية، كما عثر في قبر آخر بالدور على كمية من البخور، الذي تعد منطقة ظفار هي مصدره الأساسي وكانت مدينة قنا (بئر علي الحالية) هي الميناء البحري الشهير لتصدير البخور^(٣٨) ونكرها مؤلف كتاب الطواف حول البحر الإريتري فقال: " قنا ميناء حضرموت وله تجارة واسعة مع عُمان على الخليج ومع الهند، مع سواحل الصومال في افريقية، وفيه يجمع اللبان والبخور وغير ذلك ويصدر إلى الخارج"^(٣٩)

صلات الفرس بالهند

شهدت منطقة الشرق الأدنى القديم تبدلات كبيرة في مراكزها السياسية وعلاقات دولها، مما تسبب في أحداث خلل كبير في موازين القوى السياسية العالمية القديمة، وترك ذلك أثره الواضح على حركة التجارة وطرقها ووسائطها. فقد ظهرت في الأقسام الجنوبية الغربية من إيران قوة سياسية جديدة تمثلت بدولة

³⁷ - Boucharlat, Remy, Archaeology and Artifacts of the Arabian Peninsula, Civilizations Of The Ancient Near East, Vol. II, Charles Scribner, Sons USA, 1995, P. 1341.

³⁸ - بن صراي، حمد محمد، المرجع السابق، ص ٤٦

³⁹ - الإرياني، مطهر علي، نقوش مسندية، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ١٩٩٠ ص ١٢٢.

الفرس الأخمينيين الذين نجحوا في سنوات قليلة من نشر سلطتهم على كثير من أجزاء الشرق الأدنى القديم، فسقطت بابل أمامهم في عام ٥٣٩ ق.م وسقطت مصر بعد ذلك في عام ٥٢٢ ق.م وكان لهذا أثره الكبير على الأحداث السياسية والحضارية في الشرق. (٤٠) شقت الطريق إلى الهند في وسط آسيا منذ قيام مملكة الفرس وسيطر الفرس زمن قورش (٥٥٨-٥٣٦ ق.م) على آسيا الوسطى والبلاد المتاخمة للهند. وحافظ داريوس هيستاسبس على انتظام العلاقة الطيبة مع الهند بعد أن أخضعها. وكان داريوس قد أرسل بعثة بقيادة سكيلكس الكارياتدي ليكتشف الطريق في مجرى السند الأسفل ثم عابراً المحيط الهندي ومن ثم أخذ داريوس يبعث بسفنه لتجوب المحيط الهندي، كأن الملك الفارسي كان يريد معرفة طريق كانت لديه معلومات عنها وقد ضم داريوس جميع مجرى وادي السند وجعل تلك البلاد ولاية في مملكته (٤١)

كانت الطريق البرية عبر آسيا معروفة ومطروقة من قبل الجميع زمن الاخمينيين والسلوقيين، ويفسر هذا كثرة المعلومات المعروفة عن الهند وعن التجارة المطلوبة منها، وقد تأثر التبادل التجاري وغيره بسبب ثورة بخاري سنة ٢٥٠ ق.م وثورة فريتا سنة ٢٤٨ ق.م وقيام سلطنة آسيوية جديدة شرقي دجلة، وذلك

40 - الهاشمي، رضا جواد، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، من كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد ١٩٨٤م ص ١٤-١٥.

41- يوجد أقدم ذكر لهذه الممتلكات الشرقية في نقش داريوس برسيبوليس، وفي نقشى رستم الذي يعود تاريخه إلى عام ٤٨٦ ق.م حيث يعلن داريوس أنه "ملك فارس و بلاد السوس" وبابل وأشور وبلاد العرب، ومصر والمقاطعات البحرية واسبرطة وأيونية وميديا، وأرمينيا وكبادوكيا، وفرتيا وزرانجية، وآريا، وخوارزم، وبخاري، وبلاد الصغد وقندهار، وسقّا وستاكينس، وأراخوسيا، وميكيا. أوليري، دى لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى على الغول، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان ١٩٩٠م، (ص ٨٣ هـ ١). وانظر تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، مراجعة أحمد السقا، وحمد بن صراري. أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠١. الكتاب الرابع ص ٣٠٩.

قبل وفاة "أسوكا" ببضع سنين أما الطريق فقد بقيت مستعملة على الرغم من هذا كله ، ولم يتغير عليها إلا الإشراف الذي أصبح للفرنسيين^(٤٢)

وقد نظم الأخمينيون إمبراطوريتهم تنظيمًا إداريًا حسنًا جعلها تظل متماسكة زهاء قرنين من الزمان وقسموها إلى عشرين ولاية كانت الهند واحدة منها، وكانت الهند على رأس جميع الولايات في كمية الجزية السنوية إذ كان عليها أن تدفع إلى خزانة "شاهنشاه" ٤٦٨٠ وزنة فضة سنوياً^(٤٣) وكانت الولاية الهندية تزود مملكة الفرس بالذهب المستخرج من الرواسب الغرينية في دارستان وقد استغل الذهب خلال قرن من تعدينه. وأشارت النصوص الفارسية أيضاً إلى وجود الرماة الهنود في جيش إكسر كسيس^(٤٤) الذي وصف نفسه بالملك العظيم والوحيد وملك جميع البلاد التي تتكلم جميع اللغات، وعدد تلك البلاد التي تخضع له وكان منها بلاد العرب والهند^(٤٥)، وقد احتفظت الآثار الأخمينية بتمثيل للجنود الهنود ضمن اللوحات التي مثلت الجنود الشرقيين، في جيوش ملك الملوك إكسر كسيس^(٤٦)

⁴²- أوليري، دي لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى على الغول، منشورات وزارة

الثقافة الأردنية، عمان ١٩٩٠م ص ٨٦

⁴³- انظر: أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٦٣م ص

٢٢٦-٢٢٧. (الوزنة = تالنت = حوالي نصف كيلو جرام)

⁴⁴- أوليري، دي لاسي، المرجع السابق، ١٩٩٠م

⁴⁵- Pritchard J.B., Ancient Near Eastern Texts , New Jersey , University

Press , 1969, P316

⁴⁶- بابلون، أرنست، الآثار الشرقية، ترجمة مارون عيسى الخوري، دار جروس برس طرابلس

لبنان، ١٩٨٧. ص ١٣٤.

كما أشار هيرودوت (٤٧) إلى الضرائب التي فرضها داريوس على الأقاليم التابعة له وكان منها الهند فقال عما تدفعه الهند: " ثلاثمائة وستون تالنت من التبر - من الهنود وهم القوم الأكثر تعداداً في العالم المعروف ويدفعون المبلغ الأكبر " ويذكر " إذا قدرنا قيمة الذهب بما يعادل ثلاث عشرة مثل قيمة الفضة، فإن التبر الهندي يعادل عندئذ أربعة آلاف وستمائة وثمانين تالنت " ويذكر أن " إجمالي عائدات داريوس السنوية (من الضرائب) أربعة عشر ألفاً وخمسمائة وستين تالنتاً يوبونياً، باستثناء العوائد الزائدة(*)

وقد ساهمت الهند بنسبة كبيرة من مجموع الضرائب التي قام داريوس بتحصيلها آنذاك من جميع الولايات الخاضعة له.

ثم ضعفت بلاد فارس وأقدم الإسكندر على غزوها وتمكن من التغلب على داريوس في معركة " اسوس " سنة ٣٣٣ ق.م فهرب من الميدان . وتغلب عليه ثانية في معركة أربيل سنة ٣٣١ ولم يمض وقت طويل حتى اغتيل

⁴⁷ - تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، مراجعة أحمد السقاف، وحمد بن صراي. أبو ظبي ، المجمع الثقافي، ٢٠٠١ الكتاب الثالث ص ٢٦٤ وما بعدها.

*- ينكر هيرودوت " أنه تم إعطاء أوامر لكل من يدفع (الضرائب) بالفضة باستخدام التالنت البابلي بينما استخدم التالنت اليوبوني مقياساً للذهب: والتالنت البابلي يعادل ١ تالنت يوبوني (المرجع السابق ص ٢٦١) ، وقد تعاملت ممالك شبه الجزيرة العربية القديمة بالمسكوكات منذ نهاية القرن الخامس قبل الميلاد ثم ما لبثت هذه الممالك أن ضربت المسكوكات في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد ، وكانت تضرب على معيار الدرهم البابلي، الذي يبلغ وزنه ٥،٦ جرام. واستمر على هذا الوزن حتى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي فصارت تضرب وفقاً لوزن الدينار الروماني وضرب أغلبها من الفضة والقليل منها من الذهب والنحاس انظر: يوسف، فرج الله أحمد، مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام، مجلة أدوماتو، العدد الخامس يناير ٢٠٠٢ ص ٧٦

داريوس، وأصبح الإسكندر صاحب السيطرة على جميع الامبراطورية الفارسية، ولم تكن حملته على الهند أكثر من زيارة للولاية الشرقية التي أصبحت شبه مستقلة نتيجة لضعف السيطرة زمن ملوك الفرس الآخرين. وقد سار الإسكندر في هذه الحملة خلال منطقة كانت كلها- ولو بالاسم على الأقل- جزءاً من مملكة الفرس. وبعد أن أخضع بخارى عبر ممرات هندكوش سنة ٣٢٧ ق.م وصل نهر السند في السنة التالية. ولم يكن يكتشف ممرات جديدة، وإنما كان يعيد فتح الطرق الفارسية التي نالها الإهمال. وقد عاد الإسكندر عن الطريق البرية- كما عمل داريوس من قبل ، وأرسل أسطولاً بحرياً عبر نهر السند ليرجع عن طريق الخليج العربي^(٤٨)

وهكذا شهد العصر المتأغرق (القرون الثلاث الأخيرة ق.م) نشاطاً اقتصادياً كبيراً ، خاصة في مجال التجارة البحرية، وهو نشاط أشار الإسكندر الأكبر إلى اتجاهه حين أرسل عدداً من معاونيه البحريين ليتعرفوا على شواطئ شبه الجزيرة سواء من ناحية الخليج أو من ناحية البحر الأحمر، وحين أسس مدينة الإسكندرية في مصر لتصبح بعد موته أنشط ثغر بحري في مجال الاتصالات التجارية بين الشرق والغرب، ومن ثم يدخل البحر الأحمر والخليج في دائرة التصور الكامل لهذه الاتصالات^(٤٩).

و قاد القائد نيركوس اسطولاً (Nearchus) إلى السند وقام بسرد تفاصيل الرحلة المؤرخ أريان (Arrian) في أقدم وصف للطرق البحرية بين الهند وخليج فارس مع ساحل الهند وبلوستان. وتمكن أن يجد دليلاً عندما وصل مارساتنا في بلوستان، وقد وصفت المسيرة بأنها لم تكن صعبة، وأن أسماء الأماكن كانت معروفة جيداً. ويدل هذا على أن الطريق الساحلية كانت معروفة

⁴⁸- أوليري، دي لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى على الغول ، منشورات وزارة

الثقافة الأردنية، عمان ١٩٩٠م ص ٨٤

⁴⁹- يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية ، ط ٢ ١٩٧٩

ص ٣٢٥ - ٣٣١

تماماً. بل يؤكد أن تلك الطريق كانت هي الطريق المعتادة من الهند وإليها. وكان الإسكندر(*) يعتقد بإمكانية الإبحار حول شبه جزيرة العرب إلى البحر الأحمر . فجهز جماعة من الرجال للقيام بهذا العمل ولكنهم لم يتمكنوا من اجتياز الرأس المقابل لساحل كرمشاه آي رأس مسندم(*) Ras Messendem ولم تبذل محاولة أخرى لاستكشاف شبه جزيرة العرب أو الساحل العربي .

وكانت الأحوال في الهند قد تغيرت في تلك الأثناء وأدت إلى غزو هندي معاكس للغرب، وكان بمثابة رد على التوسع الهليني بقيادة الإسكندر. فقد قامت في الهند الشمالية الغربية حكومة قوية هي إمبراطورية موريا (Maurya) التي أسسها شاندراغوبتا (سماه اليونانيون ساتدرا كوتوس) . فلم يتمكن المقدونيون من فرض سلطتهم عليه واكتفوا بعقد تحالف معه، وتزوج شاندراغوبتا ابنة أحد السلوقيين، واستقبل الرسل اليونانيين اللذين كان من بينهم (ميغاستنيس) الذي كتب وصفاً مسهباً عن الهند لا تعرف سوى الاقتباسات التي نقلت عنه فقط(*)

صلات ميسان بالهند

كانت ميسان (أوسباسينو كراكس، Charax) قد تأسست على يد الإسكندر الكبير وذلك في عام ٣٢٤ ق.م. وكان بناؤها بالقرب من نقطة التقاء دجلة وكرخة، وكان هدف الإسكندر من إنشائها هو السيطرة على طرق المواصلات بين بلاد الرافدين والخليج العربي والهند، ولتصبح ميناءً تجارياً هاماً. كانت

* حال موت الإسكندر المبكر دون تدعيم فتوحاته وأنت الحروب الأهلية بين المتنافسين من قواده، بعد موته، إلى استعادة المستعمرات البعيدة استقلالها. ولما جاءت سنة ٣١٥ ق.م كانت السلطة اليونانية قد زالت عن بلاد البنجاب. وقام القواد اليونانيون المتنافسون وفي الوقت المناسب بتقسيم إمبراطورية الإسكندر فيما بينهم، فألقت المقاطعات الآسيوية إلى سلوقس نيكاتور (٣١٢ - ٢٨٠ ق.م) وقد حاول سنة ٣٠٢ ق.م استرجاع الولاية الهندية .

⁵⁰ - أوليري، دي لاسي، المرجع السابق، ص ٨٥

⁵¹ - المرجع السابق، ص ٨٥

كراس المدينة الرئيسية التي تركزت فيها النشاطات الرئيسية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، إضافة إلى مدن أخرى هي: فرات و أبولوجوس و ألباميا والتي لعبت أيضاً أدواراً مهمة في التجارة، وكانت لها علاقات جيدة مع تدمر و البتراء و الجرهاء والهند، وبلاد الشرق عبر الخليج العربي وكانت كراس مدينة تجارية لها علاقات متميزة بالبارثيين والرومان من جهة وبالندمريين والأنباط من جهة أخرى الذين كانت لهم مراكز هامة وجاليات في مدينتي كراس وفرات، وكانت هذه المملكة تحكم من قبل أسرة هايسباسونيس التي كانت في البداية تابعة للدولة السلوقية، وفي بعض الفترات وقعت تحت النفوذ البارثي، ودارت في فلك الدولة الرومانية مدة من الزمن.^(٥٢)

وكان تجار كراس يمارسون تجارة نشطة مع باريوجازا (Barygaza) على خليج كامباي (Cambay) في الهند فكانت تحمل سفنهم السلع العربية إليها، ثم تعود منها محملة بالنحاس والعاج وأنواع مختلفة من الأخشاب، ولعل استيراد هذه السلعة الأخيرة يشير إلى نوع من النشاط في بناء السفن التي كانت الأخشاب الصالحة لبنائها لا توجد في شبه الجزيرة العربية . كذلك كانت سفن كراس تحمل السلع إلى الشواطئ الجنوبية العربية لشبه الجزيرة^(٥٣) وقد ذكر مؤلف كتاب الطواف حول البحر الإريتري عدداً من السلع التجارية المستوردة من الهند إلى ميسان عبر أبولوجوس وهي: النحاس وخشب التنيك والدعامات الخشبية الأفقية للسفن وجذوع أشجار السيسو بالإضافة إلى بضائع أخرى مثل الأعشاب والأنوية والحريز والقطن والملابس والحديد^(٥٤) كما كانت مدينة أبولوجوس من المدن الهامة في ميسان وقد ذكرها مؤلف كتاب الطواف حول البحر الإريتري حيث قال (إن أبولوجوس ميناء تجاري يقع

52 - حمد بن صراي ، منطقة الخليج ص ١٩١ ، ١٩٩

53 - يحيى ، لطفى عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، ط ٢ ، ١٩٧٩

ص ٣٢٨

54 - حمد بن صراي ، المرجع السابق ص ٢٣٤ .

بالقرب من كراكس سباسينو ونهر الفرات) وذكر أيضاً (لقد أصبح من المألوف أن يتعامل تجار باريوجازا مع البحر حيث يستخدمون سفناً كبيرة للمتاجرة مع مينائي فارس: أبولوجوس وعمانا، حيث يزودونهما بالنحاس وخشب التيك، وجنوع شجر السيسو، وخشب الأبنوس). وقد ذكر ديوكاسيوس أن الإمبراطور تراجان في حملته ضد البارثيين عام (١١٦ م) وصل إلى ميناء أبولوجوس ووقف يرقب السلع المحملة بالسلع المتجهة إلى الهند، حينما قال عبارته الشهيرة (يا ليتني كنت شاباً فأعبر إلى الهند)(٥٥).

الصلات المصرية بالهند

تردد ذكر بلاد بونت من آونة إلى أخرى في ثنايا المصادر المصرية القديمة، منذ القرن السادس والعشرين قبل الميلاد وما تلاه، باعتبارها مصدراً رئيسياً أو سوقاً كبيرة لعديد من صنوف البخور والراتنجات والصمغ التي حظيت بهراج واسع في أسواق العالم القديم، وتضمنت أصنافاً من اللبان أو اللادن والكندر والمر والصبر والقرفة وبعض الأخشاب العطرية فضلاً عن الأثمد أو الكحل الأسود، ومنتجات أخرى (لعل منها العنبر والمسك وصمغ القاطر أو ما يسمى دم الأخوين، وما إليه)، بعضها من إنتاج بونت نفسها وبعضها الآخر مما يرد إليها من بلاد أخرى. وحرصت مصر على توفير هذه المواد حرصاً كبيراً واستهلكت منها كميات هائلة في تلبية مطالب القصور والمعابد، والأعياد والجنائزات، وتقديم القرابين، والطبوب والعطور، وإعداد العقاقير ومواد التحنيط. وقد كان للوساطة العربية دور كبير في توفير هذه السلع لمصر وقد كانت مواتي مصر على البحر

٥٥ - حمد بن صراي، المرجع السابق، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١١.

الأحمر هي المستقبل لهذه المنتجات وقد أطلق المصريون على الأرض التي تأتي منها بعض المنتجات الشرقية (تانتش) أي: أرض الإله^(٥٦) وربما استمر هذا الدور العربي- في جلب المنتجات العربية والمنتجات الهندية- حتى ظهور اهتمام حكام أسرة البطالمة - الذين أسسوا دولة في مصر إثر وفاة الإسكندر الأكبر- بالنشاط التجاري في البحر الأحمر وكان هذا الاهتمام دافعاً كبيراً وراء النشاط التجاري في هذا البحر، ورغم استئثار التجار والملاحين اليونانيين بالقسم الأكبر من هذا النشاط، إلا أن التجار العرب استمروا في أداء دور تجاري لا بأس به ظهرت دلائله في النصوص اليمنية القديمة التي عُثر عليها في مصر كتابت التاجر المعيني زيد إيل^(٥٧) والنصوص اليمنية التي ذكرت ارتحال تجار من اليمن متوجهين إلى مصر بتجارته^(٥٨) والنصوص المنتشرة في الطرق التجارية في سيناء. وربما تراجع النشاط العربي في البحر الأحمر في القرن الأول ق. م. بسبب تكثيف البطالمة في مصر لنشاطهم التجاري في البحر الأحمر والمحيط الهندي، فقد عُثر على أربعة نقوش في مصر ترجع إلى الفترة بين علمي ١١٠-٥١ ق.م. تشير إلى موظفين في حكومة البطالمة مسئولين عن شئون البحر الأحمر والمحيط الهندي.

وقد أورد كتاب الطواف السلع الهندية التي تستوردها مصر من الهند في العصر الروماني فأجملها في: السلع الغالية الثمن والمجوهرات مثل العاج و عظام السلاحف والفيروز واللآلئ والجزع واللؤلؤ والأحجار الكريمة الشفافة والماس والصفير، والملابس الثمينة والأردية القطنية والأقمشة الحريرية وخيوط الحرير، والتوابل والطبوب وبعض العقاقير الطبية والأصبغ وكانت السلع التي تصدر من مصر سلعةً فاخرة قصد بها تجارها الملوك والحكام والصفوة والأثرياء ومن هذه السلع المشغولات الفضية والذهبية والعبيد وأنواع من

56 - صالح، عبد العزيز، شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية القديمة، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، ص ٢٩٨.

57 - يحيى بلطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

58 - بافقيه، محمد عبد القادر، مختارات من النصوص اليمنية القديمة، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥م، ص ٢٩٠ النص: (RES3022)

المراهم والنبذ الفاخر إلى جانب السلع العادية. بالإضافة إلى السلع العادية كالملايس والمواد الغذائية وبعض الأدوات المنزلية والآلات الحرفية والمشغولات الزجاجية والنحاسية والمصنوعات الحديدية.^(٥٩)

واستمرت الصلة المصرية آنذاك بالهند عبر الوساطة العربية عن طريق جلب سلعها التجارية والسلع الهندية من ميناء عدن التي كانت ملتقى للتجار العرب والهنود والمصريين والإغريق المقيمين في مصر. وهناك عدة شواهد على الاهتمام بتجارة البحر الأحمر والهند منذ عهد بطلميوس الأول (سوتير) وبطلميوس الثاني (فلادلفوس) تمثلت في إقامة العديد من الموانئ المصرية على البحر الأحمر، وفي ذكر النصوص لكثير من السلع الآتية من تلك المناطق^(٦٠)، وفي تعيين مسؤولين عن سير السفن في البحر الأحمر والطريق الصحراوي الذي يربط ميناء برينيكي بقط^(٦١) وهذا تقليد أسس له حكام مصر منذ القرن الحادي والعشرين ق.م. في عهد الملك منتوحتب سمنخ كارع من ملوك الأسرة الحادية عشرة^(٦٢) ومن شواهد هذا الاهتمام التي ظهرت على الجانب الآخر ذكر النصوص الهندية - التي أخذت فكرتها من نقوش داريوس والفرس - لكل من: اتيوخوس، وبطلميوس (حاكم مصر) وأنتيغونس، وماجاس القرني والإسكندر الذي يرجح أنه كان حاكماً لبلاذ ابيروس في ذلك الحين^(٦٣)

ثم عاد النشاط العربي في التجارة البحرية مع العصر الإمبراطوري الروماني. ففي أواسط القرن الأول الميلادي يصف لنا صاحب كتاب " الطواف حول البحر الأبيض " (وهو كتاب يوناني) ميناء ليوكي كومي Leuke Kome (القرية البيضاء) في القسم الشمالي من ساحل شبه الجزيرة ، المطل على البحر الأحمر ، بأنها سوق نبطية للسفن العربية المحلية . كما

59 - عبد الغني محمد السيد، المرجع السابق، ص ٥٢.

60 - عبد الغني، محمد السيد ، المرجع السابق . ص ٤١-٤٢.

61 - أحمد، عبد اللطيف ،العصر الهلنستي ببيروت ١٩٧٦م ص ١٥٨

62 - صالح، عبد العزيز ، للمرجع السابق، ص ٢٩٩

63 - أوليري ،دى لاسي، المرجع السابق ، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان ١٩٩٠م ص

تعرض لميناء موزا Muza (عند أو قرب مخا حاليا) فوصفها بأنها سوق بحكم القانون ترسو عندها السفن، وعندها نجد المكان " وقد اكتظ بالعرب سواء من أصحاب السفن أو التجارة وهم منشغلون بأمورهم التجارية، إذ إنهم كانوا يمارسون التجارة مع الساحل البعيد (الساحل الإفريقي) ومع باريوجزا (في الهند)^(٦٤)

وربما بدأت التجارة المباشرة بين مصر و الهند في أواخر القرن الثلثي قبل الميلاد في عهد البطالمة بعد أن كان عرب جنوب شبه الجزيرة العربية يلعبون دور الوسيط بين البلدين من قبل ويحتكرون هذه التجارة^(٦٥)

وقد عمل البطالمة في مصر على تقوية التجارة البحرية مع الهند، ودفعهم لذلك أن التجارة البرية كانت بيد منافسيهم للكبار حكام سوريا السلوقيين. وقد عمل بطليموس فيلادلفوس (ح ٢٧٤ ق م) لكثير في هذا الميدان. فجدد طريق فقط (Coptos) على ساحل البحر الأحمر. وأنشأ أو أعاد بناء ميناء القصير القديم وسمى موقعها الأخير " برينيكاً " وميناء ميوس هورموس إلى الشمال من برينيكاً على نفس الساحل. وكان معظم الرجال يفضلون استعمال النيل ذهاباً وإياباً ثم يستعملون الطريق الساحلية على أن يواجهوا أخطار البحر الأحمر. وهكذا أصبحت برينيكاً مشهورة في المرحلة الأولى . ثم فتحت طريق جديدة فيما بعد توصل للساحل خلال سبعة أيام بدلا من أحد عشر يوما كانت تستغرقها

^{٦٤} - يحيى، لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق ص ٣٣١ .

^{٦٥} - Wissman . Hermann V., Himyar Ancient History, LeMuseum 77 3-4

1964 p459.

الطريق إلى برينكا وهذه الطريق هي الطريق إلى ميوس هورموس التي حلت بدورها محل برينكا ويقال أن بظلميوس فيلاندفوس قد أعاد هذه الطريق حتى الساحل ابتداء من موقع فقط ليستعملها جيشه. وهياً استراحات وبركاً للماء على طول الطريق لخدمة المسافرين من المشاة أو راكبي الجمال، وكانت التجارة التي ترد من الهند والحبشة وبلاد العرب (زمن استرابو) تتجمع في مدينة فقط واهتم بظلميوس بتنظيف القناة الملكية القديمة، التي تربط فرع النيل الشرقي بميناء أرسنوى وجدد استمالها (أرسنوى) قرب السويس الحديثة وقد أنشأها الملك سيزوستريس حوالي ٢٠٠٠ ق . م وبذل داريوس بعض الجهد لتجديدها لكنها أهملت ثانية، ثم أعادها البطالمة.

وأسس بظلميوس فيلاندفوس الى جانب هذا مستعمرات على الساحل الإفريقي، وفي ديكسورن (سوقطرة) التي بقيت تابعة لملك بلاد البخور وكانت تجارة بلاد العرب والهند تأتي الى لويكة كومي (الحوراء) ومنها توزع الى أحد الموانئ الثلاث (برينكا، أو ميوس هورموس، أو أرسينوى) وكانت تجارة بلاد الهند كلها بأيدي العرب. وحاول البطالمة تحسين الملاحة في البحر الأحمر وتسهيل عملية النقل من جنوب غربي بلاد العرب الى مصر. ويشير استرابو الى بعض الملاحين الذين كانوا يبحرون بين الفينة والأخرى من الموانئ المصرية الى الهند، ولكنهم كانوا قاتعين في معظم الأحوال بترك تجارة المحيط الهندي للعرب أو التجار الهنود. وقد توقف الازدهار التجاري البطلمي بعد الضعف الذي ظهر أيام البطالمة المتأخرين خاصة تحت حكم كليوباترا حيث أهملت الطرق وانطمرت القنوات وانتشرت أعمال القرصنة في سواحل بلاد العرب واستمر التدهور التجاري حتى عام ٣٠ ق . م (١١).

٦٦- كان إيراتوستينس المتوفى عام ١٩٦ ق. م قد قدم وصفاً مسهباً للبحر الأحمر، ومعلومات عن ممالك بلاد العرب الجنوبية فوصف شكلها العام واتجاهات الطرق الداخلية التي تصل حضرموت بالقطيف على خليج العجم، وبتهامه على خليج العقبة، ويبدو أنه حصل على معلوماته عن الهند وبلاد الفرس من موظف سوري اسمه " بتروكليس " واعتمد استرابو (٦٤ ق . م) على ما

ومن الطريف أن ملك الهند "بنديون" أرسل عام ٢٠ ق . م سفارة إلى قيصر محملة بالهدايا. وكان التعامل التجاري مع الهند وبلاد العرب زمن الأباطرة الأولين محصوراً في الأصناف الفاخرة من البهارات والبخور من بلاد العرب والفلل والآلئ والزبرجد من جنوب الهند وكذلك شاع استعمال أدوات التجميل وشاع إحراق كميات كبيرة من البخور في جنازات الأثرياء وكان بليني يتحسر على الأموال الطائلة التي تحول سنوياً إلى بلاد العرب تسديداً لما يستورد منها من منتجات أو من منتوجات الهند والصين وجاء في الدليل البحري أن كمية هائلة من السبائك الذهبية والبرونزية كانت ترسل سنوياً إلى مباديل على سعة تلك التجارة ما وجد من الصلات الرومانية من عهد أغسطس وطيبيريوس في جنوب غربي الهند والتي تعدت ٦٠٠ قطعة ذهبية وتعدت ١٠٠٠ قطعة فضية^(١٧) وكانت النقود البرونزية التي دخلت إلى بلاد الهند من الغرب وقسم آخر تم ضربه في مادورا وفي هذه الجهات وجدت أواني برونزية من صنع روماني . وكانت توجد مستوطنات للرعايا الرومان في جنوب الهند منذ القرن الأول الميلادي ،

وربما كان لاكتشاف هيبالوس (Hippalos) نظرية الرياح الموسمية، دور كبير في تطور التجارة البحرية منذ ذلك الوقت بين مصر والهند، وحددت بفترات

اقتبس من كتابات كلأ من أراتوسيتيس (١٩٦ ق . م) ، وأجاثرخيدس () ، وأرتميدروس (١٠٠ ق . م) في معلوماته عن بلاد العرب والهند، علاوة على أنه رافق حملة إليوس جالوس على بلاد العرب وقد قدم لنا كل هؤلاء الكتاب كل ما كان معروفاً لدى العالم اليوناني في عصر البطالمة من معلومات عن بلاد العرب والهند في فترة ما قبل الإسلام انظر: أوليري دي لاسي ، جزيرة العرب قبل البعثة ، ترجمة موسى على الغول ، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان ١٩٩٠م ص ٨٨-٨٩

⁶⁷ - لم يرد ذكر الفلفل والزبرجد والزنجبيل قبل عصر بليني ويبدو أنها دخلت إلى الغرب بعد انتعاش التجارة وكانت هذه الأشياء ثمينة إذ كان يباع الباوند (٤٥٤ جرام) من الفلفل في روما بمبلغ ١٥ دينار (قطعة ذهبية أو فضية) انظر أوليري، دي لاسي، المرجع السابق، ص ٨٩، ٩٥

معينة في السنة وقد أدى هذا الاكتشاف إلى تكثيف وانتظام حركة التجارة المباشرة بين مصر والهند عبر البحر الأحمر.^(٦٨) إلا أن هناك رأياً آخر يرى^(٦٩) أن الازدهار التجاري المشار إليه لم يكن بسبب اكتشاف الرياح^(٧٠) إنما كان مرده إلى القوة السياسية والعسكرية للرومان والتي مكنت الأساطيل التجارية الرومانية المزودة بحماية عسكرية قوية من أن تمخر عباب البحر دون خوف من القرصنة أو التهديد من قبل العرب الذين ربما منعوا السفن البطلمية من الإبحار في المحيط الهندي من قبل بسبب الضعف العسكري للبطالمة في القرن الأول ق.م^(٧١) إلا أنه يمكن ترجيح كل هذه العوامل حيث إن القوة وحدها لا تُسير سفناً بغير علم وإدراك للبحر ومخاطره ومواسم النشاط المناسبة للملاحة فيه.

وكان يودوكسوس من ميزيكوس هو أول من وصل إلى الهند من الملاحين الإغريق بتكليف من الملك بطلميوس يورجيتس الثاني في أواخر القرن الثاني ق.م. وأن ملاحاً إغريقياً آخر يدعى هيبالوس اكتشف الرياح الموسمية إلى الهند في أوائل القرن الأول ق.م، وكسر هذا الاحتكار العربي، وقد استفاد البطالمة

68- يحيى، لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 330.

69- عبد الغنى، محمد السيد شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة 1999م ص 148-149.

* - حيث أن هناك قرائن برهنت على أن ديوكسوس هو أول من وصل إلى الهند من الملاحين الإغريق بتكليف من الملك بطلميوس يورجيتس الثاني في أواخر القرن الثاني ق.م وأن ملاحاً إغريقياً آخر يدعى هيبالوس (أوائل القرن الأول ق.م) اكتشف الرياح الموسمية إلى الهند وكسر هذا الاحتكار العربي، وأن البطالمة استفادوا من هذا الاكتشاف في عهد بطلميوس الثاني عشر (الزمار 80-51 ق.م) وابنته كليوباترا السابعة (51-30 ق.م) بل أصبح من بين موظفيهم من يحمل لقب "المشرف على البحر الإريتري والهندي" وعلى هذا فإن هذا الاكتشاف افتقد إلى القوة التي تمكن البطالمة من الاستفادة به.

70- أوليري، المرجع السابق، ص 93.

من ذلك في عهد بطليموس الثاني عشر، (الزمار) (٨٠-٥١ ق.م) وابنته كلويو بئرا السابعة (٥١-٣٠ ق.م) ،

وفي محاولة للسيطرة على منتجات بلاد العرب ومنتجات بلاد الهند والخلاص من السيطرة العربية وربما مضايقة العرب للسفن البطلمية في البحر الأحمر^(٧١) دفع البطالمة بحملة عسكرية للسيطرة على اليمن، تحركت من الساحل المصري على البحر الأحمر مرة بميناء لويكة كومي على الجانب المقابل للاستفادة بمساعدة الأنباط في الجنود والإرشاد، إلا أن هذه الحملة باءت بالفشل^(٧٢)

ورغم فشل هذه الحملة العسكرية. تتحدث المصادر الرومانية عن الطفرة الكبيرة في حجم التجارة الرومانية مع الشرق - وخصوصاً الهند - وذلك في أوائل عصر أغسطس (٣١م) أول أباطرة الرومان، وكانت تلك الطفرة من خلال ولاية مصر الرومانية باعتبارها أقرب الولايات وأقدمها اتصالاً بأسواق التجارة الشرقية وسلعها المرغوبة في إيطاليا ولايات الإمبراطورية في الغرب^(٧٣)

وقل هذا الاتصال الوثيق بين الرومان والهند حتى ما يقرب من قرن قبل ظهور الاسلام. عندما تدهورت الملاحة البيزنطية في البحر الأحمر خلال القرن السادس الميلادي. وبذلك عادت تجارة الهند إلى أيدي الملاحين العرب.

دور التدمريين و الأنباط في حركة التجارة العربية الهندية

أولاً - دور التدمريين في حركة التجارة العربية الهندية

تعددت الطرق التجارية التي كانت تمر بتدمر وتجاريتها وكان منها طريق إلى نهر الفرات عن طريق سورا ودورايوروبوس وعانة وهيت ، ومنها إلى بارباريكوم

71 - ظفاري، جعفر دراسات في المجتمع اليمني القديم، مجلة الثقافة الجديدة العدد الرابع

صنعا ١٩٧٥م، ص ١٣.

72 - الجرو، أسهمان سعيد، لتاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية الأردن ١٩٩٦م ص ١٩٧.

73- عبد الغنى، محمد السيد شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة ، المكتب

الجامعي الحديث ، القاهرة ١٩٩٩م ص ٢٠٠ .

و هو أحد الموانئ الهندية الهامة على الساحل الشمالي الغربي للهند المطل على بحر العرب (٧٤).

واستخدم التدمريون أيضاً الطرق البحرية عبر الخليج العربي والبحر الأحمر. ولقد ذكر أحد النقوش التدمرية الذي عثر عليه في الأجورا، وجود علاقة مباشرة بين تدمر وشمال غرب الهند حيث أشار النقش أن سفينة لأحد التجار التدمريين أبحرت من ميناء على الخليج العربي، متجهة إلى مصب نهر السند، وفي عام ١٩٤٦م تم العثور على لوح حجري في تدمر مصور عليه مسافر واقف إلى جوار سارية قارب، وهذا دليل على صلة التدمريين بالبحر واهتمامهم بالسفر فيه، إضافة إلى ما ذكره مؤلف: الطواف حول البحر الأبيض، من أن التدمريين كانوا ضمن العرب الذين يبحرون في البحر الأحمر متجهين إلى جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وشرق افريقية وشمال غرب الهند وقد كان للتدمريين جالية كبرى في كراكس (٧٥)

وقد عثر في مصر على نقش من عهد الإمبراطور الروماني هادريانوس (١١٧-١٣٨م) يذكر جالية مزدهرة ومعترفاً بها من الإمبراطور لربابنة من مدينة تدمر يعملون في البحر الأحمر. وهو نقش يدعو في الحقيقة إلى التأمل ، إذ أن أهل تدمر قد اعتادوا ممارسة التجارة البرية في مناطق صحراوية ، ومن ثم فانتقالهم إلى التجارة البحرية، إلى جانب إشارته إلى مقدرتهم يثير في الحقيقة أكثر من تساؤل حول تغيير محتمل في ميزان الأهمية النسبية لكل من التجارة البرية والتجارة البحرية. (٧٦)

ولما اتسعت مملكة تدمر في عهد زنوبيا وأصبحت أشبه بالإمبراطورية حيث شملت سوريا الطبيعية وجزءاً من آسيا الصغرى وشمالي الجزيرة العربية

74 - بن صراي، المرجع السابق، ص ١٦٩. وانظر: Scoff, E.H. (ed & trans.), The

Periplus of The Erythraean sea, London, 1912, P.39, 41, 165.

75 - بن صراي محمد محمد، المرجع السابق ص ١٧١.

76 - يحيى، عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ص ٣٣٢

ووصل تأثيرها إلى بحر العرب، ووجهت زنوبيا أنظارها إلى مصر، ووضعت الخطط للاستيلاء عليها وذلك لأهمية مصر الكبيرة بالنسبة لروما وسيطرتها على طريق الهند عبر البحر الأحمر الذي ازدادت أهميته بعد إغلاق الساسانيين لمنطقة الخليج العربي، وتحقق لزنوبيا ما تمنّت عام ٢٧٠م^(٧٧) وتوجد نصوص تدمرية تؤكد وصول التدمريين إلى الهند، ومنها نص ثلثي اللغة (الآرامية واليونانية) يذكر أن تجاراً تدمريين أبحروا بلد ذكره النص باسم ساينثيا (ساكاس) وهو يقع في شمال غرب الهند وتدل النصوص كذلك أنهم عملوا في نقل تجارتهم من الهند عبر الخليج العربي حيث نقيم جالياتهم التي أقامت في ميناء أبولوجوس، كما نقلوا سلعاً من الخليج بالقوافل عبر تدمر إلى الساحل الفينيقي ومصر^(٧٨)

ثانياً - دور الأنباط في حركة التجارة العربية الهندية

تعاصر الأنباط والتدمريون خلال القرون الثلاثة الميلادية الأولى واشتركا في استخدام الطرق التجارية في أراضي الشرق الأدنى ورغم المنافسة بينهما إلا أن العلاقة بينهما كانت جيدة خلال ازدهار التجارة النبطية وبدل على ذلك وجود جالية نبطية في تدمر ومركز للعبادة، وتمتع التجار التدمريون بمكانة هامة في البتراء وميناء لويكي كومي، علاوة على التعامل التجاري الذي كان يتم بين تجار كل من تدمر والأنباط وظل الأنباط يشاركون التدمريين في النشاط التجاري أويعملون معهم حتى بعد ضم الرومان للبتراء عام ١٠٦م^(٧٩) بلغت دولة الأنباط أقصى اتساعها الجغرافي أيام حارثة الرابع، أي (أواخر القرن الأول قبل الميلاد - منتصف القرن الأول الميلادي) وساعدها اتساعها السياسي

77 - خربوطلي، شكران، سهيل ذكار، تاريخ الوطن العربي القديم، (الجزيرة العربية)، منشورات

جامعة دمشق، ٢٠٠٠م ص ١٠٩.

78 - بن صراي محمد محمد، المرجع السابق، ص ٣٢٦، ٣٤١.

79 - المرجع السابق، ص ١٨٦.

على اتساع دائرة نشاطها التجاري فقام الأنباط بدور بارز في نقل السلع التجارية من جنوب شبه الجزيرة إلى مصر، وكذلك قاموا بنقل السلع الآسيوية والهندية من موانئ شرق الجزيرة العربية. وقد سبق أن الأنباط دوراً في سبيل سيطرة الرومان على مفااتيح التجارة العربية والهندية في عهد عبادة الثنائي ووزيره صالح القوي (سلي Syllaues) أثناء حملة إليوس جالوس على جنوب الجزيرة العربية (٢٤ق.م).^(٨٠)

وهكذا يظهر دور التدمريين والنباط في حركة التجارة بين موانئ شرق الجزيرة المتصلة بالهند وبين سواحل بلاد الشام ومصر. وكذلك اتساع نشاط التدمريين حتى تمكنوا من الوصول إلى الهند، وتمكنهم من توزيع سلعها في مناطق كثيرة في الشرق الأدنى القديم عبر التدمريين والنباط إلى الرومان.

صلات جنوب الجزيرة العربية بالهند

نالت جنوب الجزيرة العربية شهرة واسعة في العالم القديم بسبب إنتاجها للمواد العطرية المختلفة، وكسبت من وراء ذلك ثروة عظيمة، جعلها تعيش في ترف كبير، وشكلت تلك المواد العمود الفقري لتجارتها ربحاً من الزمن، وهذه الحالة استرعت انتباه الكثير من المؤرخين القدماء، منهم استرابون (المؤرخ الروماني) الذي قال: "وقد أصبحت السبأي والجرهسي أغنى القبائل عامة" كما ذكر أن هذه المنطقة مليئة بالخيرات المدارية حيث تنتج المر والبخور والقرفة والبلسم. كما تحدث هيرودوت: أن بلاد العرب تقع بعيداً في أقصى البلاد المأهولة، وأنها البلاد الوحيدة التي ينمو بها اللبان والمر والأكاسيا والقرفة واللبان. والحقيقة أن معظم هذه المواد تنتجها جنوب الجزيرة العربية بالإضافة إلى مشاركة الهند وبلدان أخرى إلى الشرق منها. وقال هيرودوت أيضاً عن مهارة العرب الجنوبيين في إعداد وتجهيز البخور واللبان

٨٠ - إحسان عباس تاريخ دولة الأنباط دار النشر والتوزيع الأردن ١٩٨٧م، ص ٥٣، ٧٣

وأصناف الطيوب: " إن ذلك كان مشهوراً عنهم بين الأمم القديمة لا يشاركهم فيها أحد " كما أن ثيوفراستوس أدلى بدلوه في الحديث عن جمع المر واللبن من مختلف الجهات، وعن نقل المحاصيل إلى معبد الشمس الذي كان أكثر معابد السبنيين قداسة، وكان يقوم على حراستها مسلحون أقوياء، ويكتب على لوحة الكمية التي يرغب صاحب كل محصول بيعها، وقيمة بيع المكبال منها، وبعد إتمام عملية البيع، يعطى كهنة المعبد ثلث القيمة، ويأخذ صاحب المحصول الثلثين المتبقين^(٨١).

وقد تمكن العرب من السيطرة على الطريق البري الذي يصل إلى مصر و بلاد الشام كما سيطروا على الملاحة البحرية حتى السواحل الإفريقية والسواتي الهندية، وقد أدى هذا إلى الاعتقاد بأن السلع التي يتاجرون بها هي مما تنتجه أرض اليمن لكن سلعهم التجارية كانت خليطاً بين ما تنتجه أرض العرب وما تنتجه أرض الهند التي احتكروا الوساطة في تصريف سلعها.

وقد كان لعرب الجنوب جاليات في الهند سماها الهنود عربتو^(٨٢) ومع أن دول جنوب الجزيرة العربية على إختلاف عصورها، دول تجارية في المقام الأول، تنقل بضائعها وصادراتها إلى الدول المجاورة وإلى دول العالم القديم آنذاك مثل مصر والشام وفارس والهند وغيرهم، إلا أن هذه النقوش قد التزمت الصمت عن ذلك، باستثناء نقش واحد، عثر عليه خارج أرضها وهو النقش المرسوم بـ ٤٣٢٧ وهو للتاجر المغني زيد إلى بن زيد (السابق ذكره) والذي تحدث فيه إنه كان يستورد للمعابد المصرية المر والذريعة على سفينة في عهد (بطليموس بن بطليموس) وهو كما يرجح الباحثون — بطليموس الثاني (فيلادلفوس) (٢٨٥ — ٢٤٦ ق.م).

81 - البريهي، ابراهيم بن ناصر، الحرف والصناعات، ص ٢٣١

82 - السامر، فيصل، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٦ ص ١٠.

ذكرت الهند في كثير من النصوص اليمنية فهذا نص لامرأة تتحدث عن نفسها فتقول: (أنا شمعة بنت ذى مرثد كنت إذا وجمت أتى لى بشمار الخريف غضة في غير موسمها من أرض الهند)^(٨٢) وفي ذلك دليل على وجود صلوات بين اليمن والهند ولليل على جلب بعض السلع من الهند في غير مواسم إنتاجها في بلاد جنوب شبه الجزيرة العربية. وجاء الشعر الجاهلي على ذكر بعض السلع التي اعتاد عرب الجنوب على جلبها من الهند ومن ذلك:

وريج سنا في حقه حميرية ... تخص بمفروك من المسك إذ فرا
وبتاً وألويأ من الهند زاكياً... ورنداً ولبنى والكباء المقترأ^(٨٤)

ولم يقتصر دور اليمنيين على بيع أنواع الطيوب المختلفة على ماهي عليه إنما برعوا في تصنيعه ففي النص (جام ٦٣٥ / ٤)

٢١- ط ن ف م (اسم) ، " طيب " كالتالي : و ط ن ف م / ط ي ب م / ح م د
م / ب ذ ت / خ م ر والمعنى : " والطيب ذو الرائحة العطرة حمدا لذات خمر " .
وقد ورد اسم الهند في بعض النصوص اليمنية القديمة ومنها نص (جام ٩٣١)
يتحدث عن احتفال تتويج الملك الحضرمي العز يلط ويذكر ممثلين للهند حضرا
هذا التتويج ^(٨٥) وهما داهرداه ومينداه وكان من بين الحضور أيضاً تدمريون
وكلدانيون

ويحدثنا صاحب دليل البحر الإريتري عن كثرة السفن التجارية الراسية في ميناء
موزا (المخا) بقوله: " يقع على الشاطئ مكان يسمى موزا (مخا) وهي
مدينة - سوق ، بحسب القانون وتبعد عن برينكي نحو اثني عشرة ألف ستاديا

(٤) ذكر الهمداني أن هذا النص عثر عليه في قبر بمنطقة حقل قتاب . انظر الهمداني ، أبي
محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ، الإكليل الجزء الثامن حققه وعلق عليه محمد بن علي الأكوخ بن
الحسين الحوالي ، منشورات المدينة ، بيروت ١٩٨٦م ١٤٠٧هـ - ص ٢٣٠-٢٣١)
٨٤ - ديوان امرؤ القيس ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ص ٩٥
٨٥ - بيسنون ، مختارات ، ص ٣٢٩-٣٣٠ . وانظر ملحق النصوص : نص رقم ()

هذا التتويج^(٨٥) وهما داهرداه ومينداه وكان من بين الحضور أيضاً تسمريون وكلدانيون

ويحدثنا صاحب دليل البحر الإريتري عن كثرة السفن التجارية الراسية في ميناء موزا (المخا) بقوله: "يقع على الشاطئ مكان يسمى موزا (مخا) وهي مدينة - سوق، بحسب القاتون وتبعد عن برينيكي نحو اثني عشرة ألف ستاليا للمبحرين في اتجاه الجنوب، والمكان مزدهم بأصحاب السفن من العرب والملاحين، ويعمل الناس كثيراً في أمور التجارة" (٢) لقد ذكر صاحب الدليل: أن سفن رهابتا (منطقة على ساحل أفريقيا الشرقي)، كانت من نوع السفن المخيطة، وأن هذه السفن كانت صناعة عربية ويقول في هذا الصدد "ويوجد ميناء آخر في أزانبا يسمى رهابتا (Rhapta) وقد اشتق اسمه من السفن المخيطة (Rhapta Plaiarion)".

ويعتقد بعض الباحثين أن كلمة رهابتا أنفة الذكر قريبة من الكلمة العربية "ربط" وربما كانت هي نفسها، حيث أنها تشير إلى بناء هذه السفن بربطها في الحبال (٣) كما أشار صاحب الدليل أيضاً إلى أن السفن المخيطة كانت تصنع في عمان وتصدر إلى موزا (المخا) (٤).

تحدث مؤلف كتاب الطواف حول البحر الإريتري عن الرحلات اليمنية التي وصلت ذهاباً وإياباً إلى الموانئ الهندية وذكر من هذه الموانئ ميناء باربوجازة، وباريكل، وقد ذكر البريبلوس أيضاً رحلات يمنية وصلت سفنها إلى السواحل الفارسية، كما ذكر المناطق المنتجة لللبان ومنها منطقة وصفها بأنها جبلية وعرة يظلها السحاب. وهو وصف ينطبق على ظفار ويذكر فيها ميناء ومستودع لللبان يحرسهما حصن مشيد عند رأس سيلاجورس (فرتك) وفي

⁸⁵ - بيستون، مختارات، ص ٣٢٩-٣٣٠. وانظر ملحق النصوص: نص رقم ()

الفقرة ٣٢ يذكر ميناء لتصدير اللبان يسمى موشى ويبدو من الوصف أنه فى ظفار ويذكر واردات هذا الميناء واتصاله بميناء قنا وبعض الموانئ الهندية^(٨٦)

الموانئ ودورها فى الاتصال بالهند

قاد عرب الجنوب حركة الملاحة فى المحيط الهندي وارتادوا شواطئه المترامية الأطراف آخذين النجوم دليلاً عند إبحارهم، وكانت موانئ حضرموت القديمة نقطة انطلاق إلى موانئ الخليج العربي وشبه القارة الهندية، وكانت الطريق البحرية تبدأ من ميناء قنا على ساحل حضرموت مرة بعدد من الموانئ العربية على الساحل الشرقي للجزيرة العربية كميناء صحار ثم رأس مسندم بمحاذاة الساحل ثم إلى ميناء أكيل وتاروت ثم إلى جزائر خارك والبحرين وفيلكا فى الخليج العربي ثم إلى كراكس فى رأس الخليج وتستمر السفن فى إبحارها إلى الموانئ الهندية فى الساحل الغربي إلى ميناء باريجازا. بالإضافة إلى طريق من الهند إلى جزيرة سقطرى ويبدو أن هذه الطريق استخدمت بعد اكتشاف هيبالوس لسر الرياح الموسمية، وكانت الرحلات تتجه من حضرموت إلى الهند فى وقت هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية فى فصل الصيف بين يوليو وأغسطس. أما رحلة العودة من الهند فتتم فى فصل الشتاء مع هبوب الرياح الشمالية الشرقية من ديسمبر إلى يناير^(٨٧)

و يصف بلينى العرب أنهم أكثر الأمم ثراءً فى العالم لأنهم يكتزون ثروات هائلة يحصلون عليها من الرومان والبارثيين لأنهم يبيعون لهم ما يحصلون عليه من (وراء) البحار أو من غاباتهم^(٨٨)

86 - بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، ص ٤٥

87 - باوزير، خالد سالم، موانئ ساحل حضرموت، مكتبة دار المعرفة، ١٩٩٦م ص ٨٩-٩٠

88 - عبد الغنى، محمد السيد شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب

الجامعي الحديث، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٢٠٠ .

وقد ذكر مؤلف كتاب الطواف أن ميناء عدن كان مزدهراً وكان يلعب دور الوسيط التجاري بين مصر والهند " ويستقبل السفن من الهند لم تكن تذهب إلى مصر كما لم تكن السفن المصرية تجرؤ على الإبحار إلى أمكن أبعد (من عدن) " لم يجرؤ هؤلاء على الذهاب إلى الهند وقتنوا - في معظم الأحيان بالحصول على احتياجاتهم من السلع الهندية من خلال الوسطاء العرب " وربما استهدف عرب الجنوب تخويف البحارة المصريين من إكمال الرحلة البحرية إلى الهند حتى لا يفقدوا دور الوساطة التجارية التي انتفخوا كثيراً من ورائها^(٨٩)

ميناء قنأ

" قنأ ميناء حضرموت وله تجارة واسعة مع عمان على الخليج، ومع سواحل الهند، ومع سواحل الصومال في أفريقيا وفيه يجمع اللبان والبخور وغير ذلك ويصدر إلى الخارج " هكذا قال مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأبيض (البريبولوس) وذكر أيضاً في الفقرات ٢٧ - ٣٢ واصفاً مدينة قنأ أنها مدينة تجارية على الساحل تابعة للأكيادوس (العز) ملك بلاد اللبان ويذكر أن مدينة سبوتا (شبو) تقع في الداخل وأنها محل إقامة الملك، واليهما يجلب اللبان لخزنه. ثم يتحدث عن العلاقات التجارية التي تربط قنأ بالساحل الصومالي في الغرب، وعمان والساحل الفارسي المجاور وبعض الموانئ الهندية في الشرق. ويعدد أنواع البضائع التي تجلب إليها من مصر، والبضائع التي تصدر منها وعلى رأسها اللبان والصبر.^(٩٠) وتسمى مدينة قنأ الآن (بنر على) ويرى فون فيسمان أن ميناء قنأ كان الميناء الوحيد الصالح للتجارة مع الهند وإفريقيا، وتدل النصوص اليمنية القديمة على أن هذا الميناء كان يعج بالسفن التجارية

⁸⁹ - عبد الغنى، محمد السيد شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب

الجامعي الحديث، القاهرة ١٩٩٩م ص ٢٠٠ - ٢٠٠١.

⁹⁰ - باققيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، ص ٤٥

وقد كانت تلك السفن هدفا للجيش أثناء المعارك الحربية ومن ذلك نص يتحدث عن معركة دارت بين ملك سبأ (شعر أوتر) وملك حضرموت (العز يسط) لتنتصر فيها الأول على الثاني وكان ميناء قنأ أحد الأماكن الأهداف التي هاجمها ودمر مجموعة كبيرة من السفن الراسية فيه.^(٩١)

لعب ميناء عدن دوراً هاماً في الوساطة التجارية بين الهند ومصر حيث لم يتجاوز التجار المصريون في العصر البطلمي موانئ الجزء الغربي لشبه الجزيرة العربية فعلى فترة طويلة خلال الحكم البطلمي كانت الواردات المصرية من الهند تأتي عبر وسطاء عرب من اليمن وكانت عدن هي الملتقى المزدهر للتجار العرب والهنود والإغريق المقيمين في مصر ، وقد احتفظ الوسطاء العرب بسر أخفوه عن الإغريق القادمين من مصر ألا وهو اكتشافهم القديم للرياح الموسمية التي كانت تيسر حركة الملاحة في المحيط الهندي وذلك لاستمرار احتكارهم للسلع الهندية التي حققت لهم أرباحاً طائلة إلا أنه يبدو أن هذا الاحتكار بدأ ينكسر مع نهاية القرن الثاني للميلاد عندما أرسل الملك بطليموس يو إرجيتس الثاني يودوكسوس من كيزيكوس إلى الهند حوالي عام ١١٦ قبل الميلاد.^(٩٢)

ميناء المخا

نكر صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري: أنه وجد المخا مزدهراً بالمراكب والبحارة والتجار وأن الناس في شغل شاغل بالتجارة، وهي مدينة لسوق لقيمت على أساس من القاتون، وأهلها يحكمون السواحل الأفريقية باسم أمير المعافر في عهد الملك (كرب ليل وتار يهنعم) ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنة المقيم في ظفار، وقد أصبحت المخا هي الميناء الرئيسي لليمن.^(٩٣)

^{٩١} - الإرياني، مطهر، نقوش مسندية، ص ١١١، ١٢٢.

^{٩٢} - عبد الغنى، محمد السيد، شبه الجزيرة ومصر والتجارة الشرقية القديمة، ص ٤٢-٤٣.

^{٩٣} - الإرياني، مطهر، المرجع السابق، ص ١٨٢.

واستمر كـنشاط التجاري البحري لعرب شبه الجزيرة العربية خلال القرن الثاني الميلادي رغم ازدياد النشاط التجاري اليوناني الروماني. أما في القرن الثالث الميلادي فقد قل النشاط التجاري العربي ، وشهد هذا القرن أيضاً عصر تدهور الاقتصاد للإمبراطورية الرومانية ، كما هبط فيه النشاط التجاري اليوناني في البحر. أما القرون الثلاثة التالية فكانت الفترة التي عاصرت الإمبراطورية البيزنطية في الغرب والإمبراطورية الساسانية في الشرق و لم يظهر فيها شيء عن النشاط التجاري في البحر الأحمر. وأصبحت جزيرة سيلان في تلك الفترة هي همزة الوصل بين تجارة الصين وتجارة الشرق الأدنى^(٩٤).

ثم ينتقل الكاتب في حديثه إلى " كانه " Kane (حصن الغراب حالياً) التي تقع في شرقي العربية الميمونة Arabia Eudaemon فيذكر أن أحمال اللبان والبخور كانت تصل إليها وأن هذه المدينة التي كانت سوقاً " تتاجر كذلك مع مدن السوق الموجودة في الجانب البعيد (الجانب الإفريقي) كذلك ، كما كانت تتاجر مع باربوجازا وسكينية (وادي السند) وعمانا Omana وبرسيس Persis المجاورة لها " هذا بينما نجد جزيرة سقطرى (جنوبي شبه الجزيرة العربية) " التي تتبع ملك أرض اللبان " (يقصد ملك العربية الجنوبية) وقد أقام على شواطئها الشمالية تجار عرب وهنود ويونان " (٩٥).

٩٤ - يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ص ٣٣٢.

٩٥- المرجع السابق، ص ٣٣١ .

التأثيرات الهندية في آثار جنوب الجزيرة العربية

تكرر اسم الهند كثيراً في النصوص اليمنية القديمة وتكررت القطع الفنية التي تحمل تأثيرات هندية دليلاً على وجود علاقات تجارية قديمة بين البلدين ولما لا ومنطقة جنوب الجزيرة العربية تتوسط بين الهند وبين دول العالم القديم في الموقع الجغرافي و العلاقات التجارية.

كان العاج من المواد التي استوردتها ممالك اليمن القديم من الهند وقد دخل العاج في الكثير من القطع الفنية وقد عثر على الكثير من القطع العاجية في مواقع يمنية مختلفة منها ما يزيد على مائة قطعة عثر عليها بين مكتشفات القصر الملكي في شبوة عام (١١)

وقد عثر في خور روري (*) على تمثال برونزي لسيدة يعود للقرن الثاني قبل الميلاد وهو من التماثيل التي تحمل تأثيرات هندية، وقد فقد التمثال الرأس والذراع اليسرى والقدمين، وبقي على كتفها ما يعبر عن أطراف شعرها المرسل، وقد ظهرت السيدة وهي ترتدي ثوباً قصيراً، وقلادة من ثلاثة صفوف، وتظهر السيدة وهي تتمايل بجسدها في ثني الراقصة المحترفة. وترتدي ثوباً

٩٦ - بيال، جان كلود، الصندوق العاجي من قصر شبوة ، من كتاب، شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد: عزة على عقيل ، وجان فرانسوا

بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ١٩٩٦م ص٨٨، ٩٧

* - وهناك أيضاً الأطراف الشرقية كالمهرة وظفار حيث أسس العزيط على بعد ٨٠٠ كم شرق شبوة مدينة سمهرم (خور روري) وذلك في نهاية القرن الأول قبل الميلاد، وأخيراً جزيرة سقطرة والتي امتد التوسع البحري الحضرموتي إليها ، وقد ساعد الموقع الطبيعي لحضرموت على التوسع نحو الشرق جان بريتون شبوة والحوضر اليمنية القديمة- من القرن الأول إلى القرن الرابع للميلاد - من كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية إعداد عزة على عقيل، و جان فرانسوا بريتون، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ١٩٩٦م ، ص ١٧١-١٧٢

طويلاً فوقه عباءة مزركشة، وتقف في وضع طقسي تميل فيه بجسدها وتبسط زراعها اليمنى برفق على امتدادها، ممسكة بين الإبهام والبنصر بعطاء ما، وترسل زراعها اليسرى بجانب جسدها، مزركشاً و هو من الآثار التي تحمل تأثيرات هندية واضحة^(٩٧)

لوحة من حجر الألبستر من مقبرة تمنع^(٩٨) واللوحة مستدقة من أعلى إلى أسفل (١٣,٥ سم من أعلى ١١ سم من أسفل) كسر ركنيها العلويين وركنها الأيسر السفلي وبه جزء من جسم السيدة التي مثلت عليها بنحت شديد البروز ومثل الفنان الرأس والجزء السفلي من الجسد بمنظور جانبي بينما الكتفان والذراعان بمنظور أمامي^(٩٩) ويلاحظ أن هذه اللوحة تحمل تأثيرات هندية، تظهر في حركة السيدة التي تبدو راقصة ولم يسجل على اللوحة اسم صاحبها. (صورة ٤)

ومن الآثار التي ارتبطت بالتجارة مع الهند العملة النقدية الذهبية وكثير من هذه القطع مثقوب، شأن الكثير من العملات الذهبية الرومانية المكتشفة في الهند^(١٠٠).

97 - عبد العزيز صالح، المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة، مجلة دراسات الخليج

والجزيرة العربية، جامعة الكويت الإصدارات الخاصة (١٤)، ١٩٨٥، ص ١٠٤، ١٢٤، صورة ٣٨

98 - SEGAL, BERTA, Problems of Copy and Adaptation in the Second

Quarter of the First Millennium B.C, Americn Journal of Archaeology, Vol.60.No.2,P170,P165,fig13

Cleveland. L., Ray., South Arabian Necropolis, -99

Baltimore.1965 P 23 Plate43 .

100 - مونرو، ستيوارت، العملة النقدية في الامبراطورية الحميرية، من كتاب، اليمن، معهد العالم

العربي ١٩٩٩م ص ١٩٧

نتائج البحث

اندمجت الهند في علاقات كبيرة مع معظم دول الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور، فتعاملت مع بلاد النهرين، وحضارة دلمون، والحضارة الفُتاتية، وحضارات اليمن القديم، ومصر، وانتفعت من جراء هذه العلاقات حضارات الممالك المنتشرة على أرض الشرق الأدنى القديم، كحضارة تدمر، والأنباط، ومملكة مسان، والجرهاء، وغيرها من مدن عملت كمحطات تجارية لخدمة الرحلات التجارية التي يقوم بها أهل الحضارات التي تعاملت تعامل مباشر مع الهند. وقد لعبت السلع الهندية إلى جانب السلع المحلية دوراً كبيراً في إرساء تنظيم محكم للتبادل التجاري بين دول الشرق الأدنى القديم وكانت هذه التجارة أحد أسباب التوسع في الاتصال بين الدول بل كانت سبباً في إنشاء الكثير من الطرق التجارية التي ربطت الموانئ البحرية ببعضها البعض كاتصال موانئ جنوب شبه الجزيرة بموانئ الخليج العربي، والموانئ المصرية، واتصال هذه وتلك بالموانئ الهندية.

كذلك ازدهرت الطرق الداخلية وتعددت لتربط بين كافة أرجاء الشرق الأدنى في الداخل وزادت من حركة تجارة القوافل البينية في منطقة الشرق الأدنى القديم، ووفرت الكثير من مجالات العمل التجاري، وأنعشت الكثير من القرى الصغيرة التي استقرت ونمت وأسست اقتصادياتها لما كبرت واتسعت على النشاط التجاري.

بل اتسع المدى لتتعامل دول من الشرق الأدنى مع دول أخرى سلمياً أحياناً وعسكرياً أحياناً أخرى بسبب طمع اليونان والرومان في السيطرة على مصادر إنتاج تلك السلع التي تنتج في دول الشرق الأدنى أو تجلب عن طريقها من الهند، وقد قامت اقتصاديات دول كبرى - كدول جنوب شبه الجزيرة، وماجان، و دلمون على هذه التجارة وانتعشت ممالك ومدن عديدة أيضاً بسببها كالأنباط

وتدمر وميسان. بل اقتشعت مناطق دون الأخرى أحياناً وتتلوها أحياناً أخرى داخل الدولة الواحدة كجنوب اليمن وشرقها، واتصلت دول مع الأخرى اتصالاً مباشراً أحياناً في فترات وعن طريق وسيط في فترات أخرى مثلما اتصلت عُمان ببلاد النهرين مباشرة أحياناً وعن طريق دلمون أحياناً أخرى .

وكان من نتائج العلاقة بين دول الشرق الأدنى وبين الهند فوائد كثيرة على الصعيد الاقتصادي كان منها تشريع القوانين التي تنظم الحياة الاقتصادية، و شؤونها، وخلق نظم لتمويل الرحلات التجارية من الجانب الرسمي أو الخاص كما حدث في بلاد النهرين ثم إجراء الترتيبات اللازمة للإستيراد من الهند ثم إعادة التصدير لبعض السلع. أضف إلى ذلك ما تحقق من توجه الكثيرين نحو ممارسة النشاط التجاري والصناعات المترتبة عليه.

وعلى الصعيد الثقافي استفادت الفنون في كل من الهند ودول الشرق الأدنى القديم من هذه العلاقة فربما التأثيرات المتبادلة بينهما ولا يستبعد ثقافياً أيضاً معرفة بعض الأفراد من هنا وهناك بلغات الآخر لما يتطلبه الاتصال بينهما من تفاهم، كما كانت لمناطق شهيرة في الهند ولمنتجاتها مكانة كبرى واحتراما حتى من المعابد والمعبودات فحظيت ملوخوا بتقدير بعض المعبودات في بلاد النهرين، وذكرت مناطق إنتاج السلع الهامة التي وردت إلى مصر وبعضها من الهند بأنها من أرض الإله. وربما قامت حروب بين بعض دول الشرق الأدنى وبين الطامعين في تجارتهم وسلعهم والسلع الهندية التي احتكروا تجارتها لردح طويل من الزمن إلا أن العلاقة بين الهند والشرق الأدنى ظلت في معظمها سليمة منذ بدايتها وحتى النهاية.

المراجع العربية

أبى محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، الإكليل الجزء الثامن حققه وعلق عليه محمد بن على الأكوخ بن الحسين الحوالى ، منشورات المدينة ببيروت ١٩٨٦م ١٤٠٧هـ

-إحسان عباس تاريخ دولة الأنباط، دار الشرق للنشر والتوزيع الأردن ١٩٨٧م
-أحمد فخرى، دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٦٣م
- أسمهان الجرو، سعيد الجرو، التاريخ الحضارى لليمن القديم، دار الكتاب الحديث ، ١٩٩٦م

- دى لاسى أوليرى، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى على الغول، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان ١٩٩٠م
- أرنست بابلون، الآثار الشرقية، ترجمة مارون عيسى الخورى، دار جروس برس طرابلس لبنان، ١٩٨٧.

-جان بريتون شبوة والحواضر اليمنية القديمة -من القرن الأول الى القرن الرابع للميلاد - من كتاب شبوة

-جان كلود ببال، الصندوق العاجي من قصر شبوة، من كتاب، شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد: عزة على عقيل ، وجان فراتيسوا بريتون، المركز الفرنسى للدراسات اليمنية ، صنعاء ١٩٩٦م

جعفر ظفاري، دراسات في المجتمع اليمني القديم، مجلة الثقافة الجديدة العدد الرابع صنعاء ١٩٧٥م

- خالد سالم باوزير، موانئ ساحل حضرموت، مكتبة دار المعرفة، ١٩٩٦م
-تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، مراجعة أحمد السقاف، وحمد بن صرارى.أبو ظبي، المجمع الثقافى ، ٢٠٠٠م.

- عبد الله الحلو، صراع الممالك في التاريخ المسوري القديم، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٩
- حمد محمد بن صراى، منطقة الخليج العربى من القرن الثالث ق م الى القرن الأول والثانى الميلاديين، المجمع الثقافى الإماراتى ٢٠٠٠ م
- حمد محمد بن صراى، موقع ميناء عمنا ودوره الحضارى والاقتصادى فى منطقة الخليج العربى، أوماتو، العدد الثنى، ربيع الثانى ١٤٢١هـ - يوليو ٢٠٠٠ م
- زارينس، بورس، أرض اللبان، دراسة ميدانية أثرية فى محافظة ظفار بسلطنة عمان، منشورات جامعة السلطان قابوس، ٢٠٠٠ م
- ستيوارت مونرو، العملة النقدية فى الامبراطورية الحميرية، من كتاب، السيمن، معهد العالم العربى ١٩٩٩م
- عبد العزيز صالح، شبه الجزيرة العربية فى المصادر المصرية القديمة، مجلة عالم الفكر ، المجلد الخامس عشر ، العدد الأول،
- محمد السيد عبد الغنى، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة ، المكتب الجامعى الحديث ، القاهرة ١٩٩٩م
- عزة على عقيل، وجان فرانسوا برينتون، عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية ، المركز الفرنسى للدراسات اليمنية ، صنعاء ١٩٩٦م
- فيصل السامر، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية فى الشرق الأقصى ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٦م
- كريستيان جوليان روبان، حضارة الكتابة، من كتاب، السيمن، معهد العالم العربى ١٩٩٩م
- بيتر كورونوول، ليمون ، تاريخ البحرين فى العصور القديمة ، ترجمة محمد على الخزاعى مطبعة برنتك، البحرين ١٩٩٩

- محمد عبد القادر بالفقيه، مختارات من النصوص اليمينية القديمة، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥م
- الهاشمي، رضا جواد، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم ، من كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية ببغداد ١٩٨٤م
- هيا على جاسم آل ثاني، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر ١٩٩٧م
- لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، ١٩٧٩م

المراجع الأجنبية

- Phillips , W .,Unknown Oman , London ,1966 .
- Vishwas. D. Gogte, Indo – Arabian maritime contacts during The Bronze Age Scientific Study of pottery from Ras al – Junayz (Oman) , Adumatu Issue no . 2 July 2000 .
- Berta,Segall, Som proplems of Copy and Adaptation,AJA,Vol.60,1956.
- Berta Segall , Some Problems of Copy and Adaptation, A J A Vol60 1956 .
- Boucharlat,Remy,Archaeology and Artifacts of the – Arabian Peninsula,Civilizations Of The Ancient Near East,Vol.II,Charles Scribner,s Sons USA,1995.
- Leemans, W.F, Foreign Trade in Old Babylonian Time , Leiden 1960. -Muncherjee Collection ,Aden,Dedalo,vii,p.741,left middle
- Cleveland,Ray L,An Ancient south Arabian Necropolis,Baltimore1964.
- Dedalo,vii,p741 left middle
- Mery,Sophie, AFunerary Assemblage From The Umm an-Nar Period; The ceramics from Tomb A at Hili North,UAE, Seminar for Arabian Studies, VOL.27,1997.

**-Pritchard .J.B.,Ancient Near Eastern Texts , New Jersey
,University Press ,1969**

-Pettianato, Giovani, EBLA, Anew Look at History.

**Translated by C. Faith Richardson,The Johns Hopkins
University Press.1991,**

**-Roaf.Michael.Cultural Atlas of Mesopotamia and The
Ancient Near East, Equinox Oxford,Ltd,1990**

**-Vishwas. D. Gogte, Indo – Arabian maritime contacts
during The Bronze Age Scientific Study of pottery from Ras
al – Junayz (Oman) , Adumatu Issue no . 2 July 2000 .**

Pettianato, Giovani, EBLA, Anew Look at History.

**Translated by C. Faith Richardson,The Johns Hopkins
University Press.1991**

**-Pritchard .J.B.,Ancient Near Eastern Texts , New Jersey
,University Press ,1969.**

**-Wissman.HermannV., Himyar Ancient History , LeMuseon
1964**

قائمة الأشكال و الصور

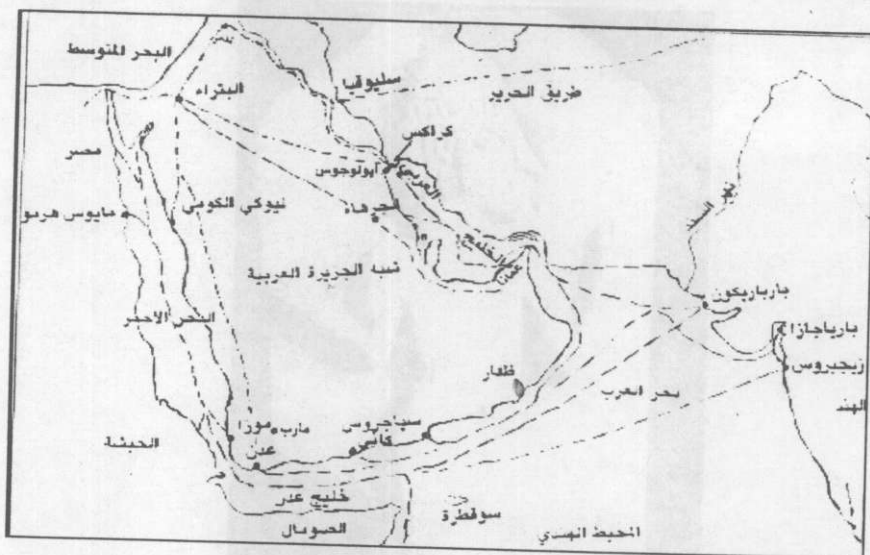
١-خريطة تبين صلة موالي جنوب الجزيرة العربية بالهند

٢-أواني فخارية من عُمان بها تأثيرات هندية

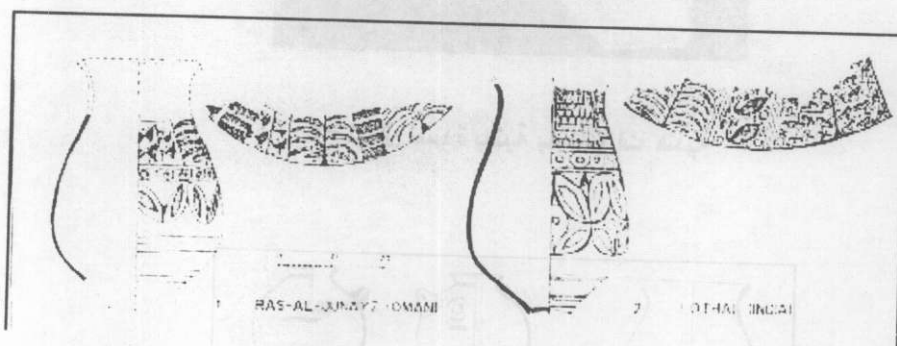
٣-تمثال يمني لسيدة به تأثيرات هندية

٤-أواني فخارية من هيلي بها تأثيرات هندية

٥-أواني فخارية من هيلي بها تأثيرات هندية



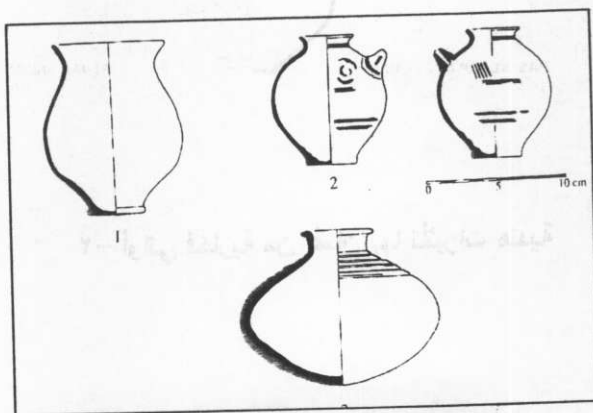
١- خريطة تبين اتصال موانئ الشرق الأدنى بالهند



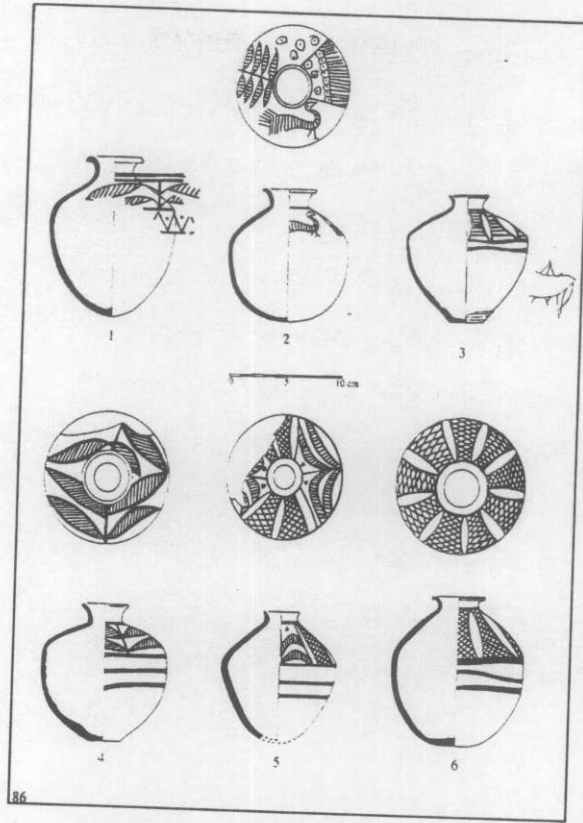
٢- أواني فخارية من عُمان بها تأثيرات هندية



٣- تمثال لسيدة يمنية به تأثيرات هندية



٤- أواني فخارية من هيلي بها تأثيرات هندية



هـ- أواني فخارية من هيلي بها تأثيرات هندية

